هدية العدد
التقويم الهجري الجديد

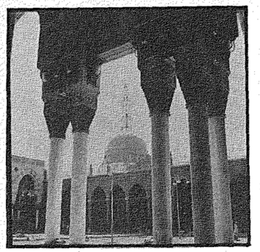
الوعي الإسلامي

اسلامية ثقافية شهرية



العدد (١٢١) غرة المحرم ١٣٩٥ هـ - يناير ١٩٧٥ م

في هذا العدد



صــــــورة الغــلاف :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تشد الرحـــال إلا إلى ثلاثة مســاجد : المسجد الحرام ، ومسجدى هـــذا ، والمسجد الأقصى » .

حديث صحيح

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافيــة شهرية

AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX : 13

السنة الحادية عشرة

العـــــدد : ١٢١

غرة المحـــرم ١٣٩٥ هـ ــ الموافق ينـــاير ١٩٧٥م

هـــدفها : المـــزيد من الوعى ، وايقـــاظ الروح ، بعيـــدا عن الخـــلافات المذهبيـــــة والسياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكـــويت فى غـــرة كل شـــــهر عـــــربى

عنـــوان المراســـــلات :

مجـــلة الوعي الاسلامي ــ وزارة الأوقاف والشـــئون الاســـلامية
صندوق بريد : ٢٣٦٦٧ ــ كويت ــ هاتف : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨



حديث الوعي

طريق الهجرة

اية طريق تلك التي قطعها المصطفى عليه الصلاة والسلام من مكة الى المدينة !! لم تات هكذا ارتجالا دون وحي من الله سبحانه وتخطيط ، وبذل جهد من الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حاشا أن يكون ذلك .

ان حادث الهجرة بداية مرحلة جديدة في سبيل الدعوة الى الله ، بل ومرحلة اساسية . تلك : هي بناء المجتمع الاسلامي . وتاصيل قواعد بقائه وثباته . ونقطة بداية للانسياح والمد الاسلامى الى كل مختلف أطراف الدنيا .. حقا هذا ما تحقق وما كان .

ولكن ما المتاعب التي واجهت سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ؟

انها عملية ذات حساب كبير تتبدى لنا حالما نعلم رصد المشركين للرسول الكريم عليه السلام ، في نقلته هذه .. حيث انها اشارة خطر لهم تدل على بناء مجتمع محكم مترابط متاخ يصادم مجتمعهم ذا الفوارق والنزعات .. الذى تحكمه القيم والمقاييس الجاهلية ..

لذلك كانت المتاعب الجسام . والتي ندركها بتتبع كتب السيرة في هذا الموضوع حيث انه قد تم للرسول صلى الله عليه وسلم عزمه للهجرة بخروجه في الهاجرة (وقت الظهر) لاعداد الزاد والراحلة واتخاذ الصاحب الامين ابى بكر الصديق رضى الله عنه . ومبيت على بن ابى طالب (كرم الله وجهه) مكانه . والاختباء بالغار . واتيان اسماء بنت ابى بكر الصديق (ذات النطاقين) بالطعام لأبيها وللرسول صلى الله عليه وسلم ، وابن ابى بكر الصديق ناقل الاخبار . وابن فهيرة الذى يعفى (يخفى) باغنامه آثار سير ابن ابى بكر ، وبهذا التخطيط العملي المحكم . والتنفيذ الدقيق المتقن. عمي المشركون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفيقه الصديق رضى الله عنه مع عظيم ما اعدوا . ومع كبير ما ترصدوا . حتى ذلك الفارس سراقة قد أنضم في ركب الايمان . وانضافت معجزة كبرى بجانب معجزاته عليه الصلاة والسلام العظيمة تشير الى ان المسلم يسير بهدى ربه ، وهذا الرسول الامين صلى الله عليه وسلم يعلم الناس اليقين بصدقه ورسالته . فتراه في ظرف قد يكون من أحلك الظروف سوادا يبشر سراقة بسوارى كسرى حتى ليطير لب سراقة (ابن مالك الجعشمي) فيقول : سوارى كسرى بن هرمز ، فيجيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم بنعم ..

تلك صورة الهجرة بخطوطها العريضة .

اما ما تفيده من عبر وعظات فهو شان المسلم في كل ذكرى وحادثات الاسلام التى غدت ذكريات مجرد ذكريات ..

وانما نريد ـــ وهذا شان المسلم الصادق ـــ ان تكون سحبا ممطرة

مغيثة يحيي بها الله سبحانه نفوسا مواتا وتنبت منها الراحة والطمانينة والأمن وما اشد حاجة الناس لذلك في وقتنا الحاضر .

ومن هنا تواتينا الهجرة بمعان ضخمة زاخرة هي الصبر والايثار . والارادة الصلبة القوية . والثبات على دين الله الذى ارتضـــاه للنـــاس كافة ، والتضحية حيث لا يساوى نعمة الايمان بالله تعالى واعلاء كلمته بذل النفس وهجرة الناس والمكان ، وترك المنصب والمتاع والرياش . انها اعلى من كل ذلك،ثم نواح أخر مهمة تميز الصف المسلم وهو ما أراده النبي صلى الله عليه وسلم بالبيان العملي من ان هناك ايمان وكفر وان هنـــاك جاهلية واسلام وانه كما قال سبحانه : (افنجعل المسلمين كالمجرمين) ؟ وطبعا لا ، وعليه : فلا بد من الهجرة ، لا بد من ترك مكان الباطل والظلم والطغيان ، لا الباطل والظلم والطغيان فقط . مهما كان المكان عزيزا وكانت به الدار والولد والاموال .. فانها هجرة الى الله ومن هاجر الى الله فهـــو في سبيله ومن هاجر لدنيا او امراة فهجرته لحطام ليس له جذور .

وفي الهجرة ارجاع كل شيء الى الله واليقين به سبحانه والثقـــة بنصره ..

انظر اخي القارىء الى توجيه المصطفى صلى الله عليه وسلـــم لسيدنا ابى بكر حينما خشي رؤية القوم لهما قال صلى الله عليه وسلم : (يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما .. قال تعالى : (اذ يقول لصاحبـــه لا تحزن ان الله معنا) .

وفي الهجرة بداية التوسع الاسلامي فما ان استقر عليه الصـــلاة والسلام في المدينة ونظم شئون المسلمين فيما بينهم وبين اليهود إلا وخرج غازيا في سبيل الله .

اخي القارىء : ارايت حدثا عظيما غير مجريات التاريخ كهـــذا الحدث الجليل ؟

ارايت دلالات كدلالات الهجرة ؟

انها معلم رئيسي لان يتخذ منها المسلمون طريقا صحيحا وجديا للعمل الاسلامي المثمر وذلك : لا يكون الا باقتفاء اثر المصطفى صلى الله عليـــه وسلم . فقد كانت الهجرة متنفسا سليما وانطلاقة رائدة ودافعا قويا الـــى البذل والعطاء . والتضحية والفداء .

ان الهجرة يجب ان تكون اعلاما لكل نفس . وجرسا في كل اذن . ان طريقها يعطى المســـلم ميلادا جديدا ، والاحرى ان يكون المجتمع كذلـــك حتى ينفض ركام الجهل وما علق به من ادران المادية الطاغية الباغية ، ويهجرها الى صفاء الاسلام ونوره الوضاء متاملا معاني الهجرة . متذوقا حلاوة تلك الكلمة ..

هجرة الى الله .. هجرة الى الله .. هجرة الى الله ..

رئيس التحـــرير
بدر سليمان القصار



للاستاذ احمد البسيونى

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : « لما اقبل نبى الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ، وهو مردف ابا بكر ، وابو بكر شيخ يعرف ، ونبى الله صلى الله عليه وسلم شاب لا يعرف ، قال : فيلقى الرجل ابا بكر ، فيقول : يا ابا بكر ، من هذا الذى بين يديك ؟ فيقول : هذا الرجل يهدينى السبيل ، قال : فيحسب الحاسب انه إنما يعنى الطريق ، وإنما يعنى سبيل الخير ! فالتفت ابو بكر ، فاذا هو بفارس قد لحقهم ، فقال :يا رسول الله ، هذا فارس قد لحق بنا ! فالتفت نبى الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : اللهم اصرعه ، فصرعه الفرس ، ثم قامت تحمحم ، فقال يا نبى الله ، مرنى بما شئت ، فقال : فقف مكانك لا تتركن احدا يلحق بنا ، فكان اول النهار جاهدا على نبى الله صلى الله عليه وسلم ، وكان آخر النهار مسلحة له » .

« رواه البخارى »

الشرح والبيــان :

لم تكن الهجرة من مكة الى المدينة مجرد رحلة ، انتقل بها النبى صلى الله عليه وسلم من بلد الى بلد ، ولكنها خطة وفكرة ، غيرت مجرى التاريخ ، ورسمت للحياة وجها جديدا ، وبها فرق الله بين الحق والباطل ، فكل خطوة من خطوات الهجرة ، تعتبر معلما واضحا على طريق النضال والجهــاد فى سبيل المبادىء الانسانية ، والمثل العليا ... وأحداثها الجليلة ، منار هدى لعشاق الفضيلة ، والباحثين عن مكارم الأخلاق .

ولقد كانت وقائع الهجرة تجرى بعين الله ، وتتم خطواتها فى حراسة السماء .. وكان المهاجر العظيم صلوات الله وسلامه عليه محفوظا معصوما من كل سوء وردى ، أنزل الله سكينته عليه ، وأيده بجنود لم ترها العيون . فقد أجمعت قريش أمرها على قتل محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك بأن يأخذوا من كل قبيلة فتى شابا جلدا ، فيضربوه ضربة رجل واحد ، فيتفرق دمه فى القبائل ! وفى الليلة التى اعتزموا فيها تنفيذ مؤامرتهم ، أتاه جبريل عليه السلام فقال له : لا تبت على فراشك الذى كنت تبيت عليه، فأسر النبى صلى الله عليه وسلم إلى على بن أبى طالب ، أن يتسجى ببرده الحضرمى الأخضر ، وأن ينام على فراشه ، وكان صلى الله عليه وسلم ينام

من مفردات الحديث :

مردف = أردفه : أركبه خلفه ، والردف بكسر الراء المشددة ، الذى يركب خـلف الراكب ، ولعل ذلك وقع احيانا وهما فى طريق الهجرة ، فكان ابو بكر يركب خلـف الرســول على ناقة واحدة ، أو معناه أن راحلة أبى بكر ، كانت متاخرة عن راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد كان لكل منهما راحلة ، وقد أردف ابو بكر فى هذه الرحلة مولاه عامر بن فهيرة ، ليخدمهما فى الطريق .. وأبو بكر شيخ . قد ظهر الشيب فى لحيته ، بخلاف النبى صلى الله عليه وسلم فلم يظهر شيبه يومئذ ، فكأنه شاب بالنسبة لابى بكر ، والا فهو أسن منه ..

صرعه = طرحه على الارض .. تحمحم = حمحم الفرس ، وتحمحم ، اذا صدر عنه صوت كانه يريد العلف ..

المسلحة = بوزن المصلحة ، الجماعة المسلحون ، والمراد انه خرج اول النهار مــن الطالبين للنبى الباحثين عنه ، وكان آخر النهار من المدافعين عنه ، المخذلين الاعداء عن طلبه فسبحان مقلب القلوب . !!



فى برده ذلك إذا نام ، وقال له : « إنه لن يخلص اليك شىء تكرهه منهم » ثم خرج الرسول الكريم ، وأخذ الله على أبصار الأعداء فلم يروه ! ثم اتجه صلوات الله وسلامه عليه وصاحبه أبو بكر ، إلى غارثور ، وخرج القوم يبحثون عنهما فى كل اتجاه ، حتى وصلوا إلى الغار ، وأحاطوا به ولما شعر أبو بكر بدنو الباحثين ، ورأى أقدامهم تخفق على باب الغار ، قال للرسول هامسا : لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا ! فأجابه الرسول فى إيمان بالله وثقة بوعده : « يا أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما » ؟ ! وبهذه العناية ، عصم الله نبيه ، فمن الذى أخذ بأبصار المشركين فلم ينظروا تحت أرجلهم ، ولو فعلوا لرأوا طلبتهم المنشودة ؟ ومن الذى سمر أرجلهم فى الأرض ، فلم يتقدموا نحو فم الغار ؟ ومن الذى صرفهم عن الغار وقد هم بعضهم بدخوله ؟

أليست هى الوقاية من الله ، وهى لعمر الحق ركن شديد ؟ !

وقاية الله أغنت عن مضاعفة :. من الدروع وعن عال من الأطم !!

أليست هى العناية ، وهى لطف الله الدقيق الذى يحيل أسباب الهلاك الى فوز ونجاة ؟ !

واختفى منهم على قرب مرآ :. ه ومن شدة الظهور الخفاء !!

ومن المواقف الخالدة التى يزدحم بها طريق المهاجر العظيم ، أن التقى بهذا الموكب المهيب ، رجل من المشركين ، يعرف أبا بكر ، ولا يعرف الرسول وكان أبو بكر معروفا لأهل الجهات لتردده فى التجارة بخلاف النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال الرجل لأبى بكر : من هذا الذى معك ؟ ولم يشأ أبو بكر أن يخبر بغير الصدق ، أو يسمى الرسول بغير اسمه ، وذلك ترفعا عن الكذب، وتنزها عن مخالطته أدنى مخالطة ، وتحاشيا عن الوقوع فيه ولو فى أبسط صورة ، قد تمليها المصلحة العامة ، فقال : هذا الرجل هاد يهدينى السبيل ! ومن هذا الجواب الذكى ، فهم السائل أن المصاحب لأبى بكر ، دليل ماهر ، يجيد التعرف على مسالك الصحراء ودروبها ، بينما يقصد أبو بكر أن الرسول يهديه سبيل الرشد والفلاح ، وتلك هى المعاريض التى أرشد إليها الاسلام ، ليتحصن بها المسلم من الوقوع فى الكذب ، وفى الحديث : « إن فى المعاريض ما يغنى عن الكذب » (١) .

وقد حدث مثل هذا فى غزوة بدر ، فقد خرج الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومعه بعض أصحابه ، ليستطلع أمر الأعداء ، فوقف على شيخ من العرب ، فسأله عن قريش ، وعن محمد وأصحابه ، ؟ وما بلغه عنهم ؟ فقال الشيخ : لا أخبركما حتى تخبرانى ممن انتما ؟

فقال الرسول : « إذا أخبرتنا أخبرناك » ! قال : « أو ذاك بذاك » ؟ قال : نعم ، قال الشيخ : فانه بلغنى أن محمدا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فان كان صدق الذى أخبرنى ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان

الذي به رسول صلى الله عليه وسلم وبلغني ان قريشا خرجوا يوم كذا وكذا فان كان الذي اخبرني قد صدقني ، فهم اليوم بمكان كذا وكذا ، للمكان الذي به قريش ، فلما فرغ الرجل من خبره ، قال للرسول وصاحبه : ممن أنتما ؟ فقال له صلى الله عليه وسلم « نحن من ماء ! » ـ يعني صلوات الله وسلامه عليه الماء الذي خلق منه كل انسان ـ ثم انصرف الرسول عن الرجل وهو يقول لنفسه : ما من ماء ؟ أمن ماء العراق ؟ أمن ماء كذا أو كذا ؟

ومنذ آوى النبي صلى الله عليه وسلم إلى غار « ثور » ومعه صاحبه ابو بكر رضي الله عنه استعدادا للهجرة ، ومشركـو مكة يبحثون في كـل فج ، ويترصدون كل طريق ، ولما داخلهم اليأس من العثور عليهما ، تقفلوا راجعين ، يتجرعون مرارة الخيبة وقسوة الحرمان ! روى الامام أحمد : أن المشركين اقتفوا الأثر حتى اذا بلغوا الجبل ـ جبل ثور ـ أختلط عليهم الأثر ، فقصدوا الجبل ، فمروا بالغار ، فرأوا على بابه نسج العنكبـوت فقالوا : لو دخل هنا أحد ، لم يكن نسج العنكبوت على بابه ..

فمكث الرسول في الغار ثلاث ليال ، ثم استأنف المهاجران العظيمان رحلتهما الشاقة في ارجاء الصحراء المترامية ، ولم يسلكا الطريق المألوف متجهين الى الشمال حيث المهجر ، بل سار الركب منحدرا الى الجنـوب أسفل مكة ، موليا شطر اليمن ، ثم هو يتجه إلى تهامة ، حتى يقترب من شاطىء البحر الأحمر ، ثم يتجه شمالا في محاذاة الساحل ، ثم يوغل في الصحراء صوب يثرب ، كل ذلك اخذا للحذر ، وصرفا للانظار ، وتعمية على الباحثين الطالبين ..

غير ان المشركين وقد شق على نفوسهم أن تبوء محاولاتهم بالفشل ، لجأوا الى المكافأة السخية ، يبذلونها لمن يقبض على المهاجرين الكريمين ، فأعلنوا أن من قتل أو أسر محمدا أو ابا بكر ، كان له مائة ناقة ، ومعناه ان من قتلهما أو أسرهما معا ، كان له مئتان من النوق ، وتلك مكافأة مغرية ، تتحلب لها أشداق الطامعين ، وتحملهم على اقتحام المخاطر للظفر بها !

وفي هذا ما فيه من استنهاض الهمم لتجد في البحث والطلب ، وكان النبي صلوات الله وسلامه عليه يعلم أن الأعداء سيتعقبونه في كل مهرب ، فالتزم في سيره ـ كما ذكرنا ـ جهة الساحل ، وسلك طريقا غير مألوف للقوافل ، ومر في طريقه على حي « بني مدلج » وهناك رآه رجـل منهم فمضى الى مكة يذيع الخبر ..

يقول سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي : بينما أنا جالس في مجالس قومي « بني مدلج » بقديد ـ مكان قريب من « رابغ » اذ جاءتنا رسل قريش، يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر دية كل واحد منهما ـ وهي مائة ناقة ـ لمن قتله أو أسره ، ثم اقبل رجل من عشيرتي فقال : اني رأيت أسودة ـ اي أشخاصا ـ بالسواحل ، اراهم محمدا وأصحابه ،



فعرفت أنهم هم ، فأومأت إليه بعيني أن اسكت ، ثم قلت : إنهم ليسوا بهم ، ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا يطلبون ضالة لهم .. قال : لعله كما تقول ، ثم سكت .. فمكثت قليلا ، ثم قمت فدخلت منزلي ، فأمرت جاريتي أن تخرج فرسي خفية إلى بطن الوادي وتحبسها علي ، وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت ، وحاول سراقة في مغامرته هذه أن يبالغ في اخفاء أمره على الناس ، حتى لا ينكشف سره ، فيتبعه أحد ، فيشاركه في قتلهما أو أسرهما ، فخرج من باب خلفي يأخذ طريقه نحو فرسه الذي كان قد أعد له في مكان بعيد ، وحين أمسك برمحه ، لم يجعله قائما في يده، لئلا يظهر بريقه لمن بعد عنه ، بل خفض عاليه وجعل يخط بزجه (٢) في الأرض ومضي يجره وراءه ، حتى وصل إلى فرسه فركبها ، ثم انطلق بها وهي تنهب الأرض ، يدفعها غرور صاحبها ، الذي كانت تساوره الأحلام في ادراك الغنيمة ، والظفر بالأجر ، وفجأة عثرت به فرسه فألقت به على الأرض ، فنهض كالمحموم وهو يقول : ما هذا ؟ ثم أخرج قداحة يستقسم بها ، ليستشف من انبائها حجب الغيب ، فيرى ماذا يخبىء له المستقبل ؟ فخرج السهم الذي يكره ، فأبى الا أن يمضي في طريقه ويعصي الأزلام ، ثم عاد الى فرسه فركبها ، وهو يحاول أن يجمع عزيمته المفلولة ! ثم مضى حتى اقترب من الرسول الكريم وصاحبه الصديق ، وكان الرسول مشغولا بقراءته ودعائه ، يسير الى الامام ولا يلتفت ، وابو بكر يكثر الالتفات حذرا من الطلب وخوفا على الرسول ، فقال : يا رسول الله ، هذا فارس قد لحقنا ! فقال عليه الصلاة والسلام : « اللهم اكفناه بما شئت .. اللهم اصرعه » فساخت قوائم فرسه حتى بلغت الركبتين ... وتدحرج الفارس الجسور على الارض ، وفرسه بجانبه تحمحم ، يقول سراقة .. : « فركبت في أثره ، فلما بدا لي القوم ورأيتهم ، عثر بي فرسي فذهبت يداه في الارض ، وسقطت عنه ، ثم انتزع يديه من الارض وتبعهما دخان كالاعصار (٣) قال : فعرفت حين رأيت ذلك انه قد منع مني وانه ظاهر » !!

ولما وقع في نفس سراقة أن الرسول حق ، اعتذر اليه ، وطلب الأمان منه ، وصاح قائلا : أنا سراقة بن جعشم انظروني اكلمكم ، فوالله لا يأتيكم مني شيء تكرهونه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر : قل له : « وما تبتغي منا ؟ » .

قال سراقة :فقال لي ذلك ابو بكر فقلت له : تكتب لي كتاب أمان ، وذلك ليأمن على نفسه وماله لما رأى من ظهور امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرض عليهما الزاد والمتاع ، فلم يقبلا شيئا منه وقالا : لا حاجة بنا إلى زادك وطعامك ، ولكن عم عنا الطلب ، فقال : قد كفيتم ! ثم قال الرسول لأبي بكر « اكتب له يا أبا بكر » فكتب له أبو بكر ، أو عامر بن فهيرة كتابا في رقعة من أدم ــ بفتح الدال : الجلد المدبوغ ــ ثم القاه إليه ، فأخذه

فجعله في كنانته ، ثم رجع فوجد الناس جادين في البحث عن الرسول وصاحبه ، فجعل لا يلقى أحدا من الطلب الا رده وهو يقول : « كفيتم هـذا الوجه ، لقد اختبرت الطريق فلم أجد أحدا » . وقبل أن ينصرف سراقة قال له الرسول : « يا سراقة ، كيف بك إذا تسورت بسواري كسرى » ؟! لم يصدق سراقة أذنيه ، وهو يتلقى هذا النبأ المذهل فقال : كسرى بن هرمز ؟ قال الرسول : « نعم » لقد أحس الرجل أن كيانه يوشك أن يذوب من هول ما يسمع ! وانه لأمر يدعو إلى العجب حقا .. سراقة بن جعشم ، العربي البدوي ، الذي لا يجول بخاطره أن تواتيه لحظة في حياته ، يستطيع فيها أن يقترب من ايوان كسرى ، يبشر الآن بأنه سيلبس سواري الملك العظيم !! ولكن لم العجب ؟ أليس الخبر خبر السماء ، وحديث الأنبياء ؟

ودارت الأيام وتحققت المعجزة ، يقول سراقة : لما كان فتح مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفرغ من حنين والطائف ، خرجت ومعي الكتاب لألقاه ، فلقيته بالجعرانة (٤) فدخلت في كتيبة من خيل الأنصار فجعلوا يقرعونني بالرماح ويقولون : اليك .. اليك ، ماذا تريد ؟ فدنـوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته ، فرفعت يدي بالكتاب ثم قلت : يا رسول الله ، هذا كتابك لي ، أنا سراقة بن جعشم ! فقـال الرسول : « يوم وفاء وبر .. ادنه » فدنوت منه وأسلمت ..

ولما فتحت بلاد فارس في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وجيء له بأموالها ، وبسواري كسرى وتاجه وبساطه . قال عمر : أين سراقة ؟ فلما وقف بين يديه قال له : ارفع يديك .. ثم ألبسه السوارين وقال له : قل الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز الذي كان يقول : أنا رب الناس، وألبسهما سراقة بن مالك ، وأخذ عمر يرفع صوته بهذا النداء ، تحقيقا لوعد الله ، ووفاء بعهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا .. ومع أن الهجرة قد تمت بعناية الله ورعايته ، الا أن الرسول الكريم ، قام فيها بدور كبير ، تجلت فيه سياسته وكياسته ، وحسن تدبيره للأمور ، فقد خطط للهجرة تخطيطا دقيقا ، وقدر لكل خطوة فيها أسباب نجاحها ، وما تفضي اليه من غاية ، ووضع كل جندي من جنود الهجرة ، في مكانه المناسب ، وناط به العمل الذي يتفق وقدرته وخبرته ، وبذلك تلاقت الأسباب مع نتائجها ، في اتقان واحكام ، وبذلك نجحت الهجرة ، ومنحها الله التوفيق (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا ، والله عزيز حكيم) .

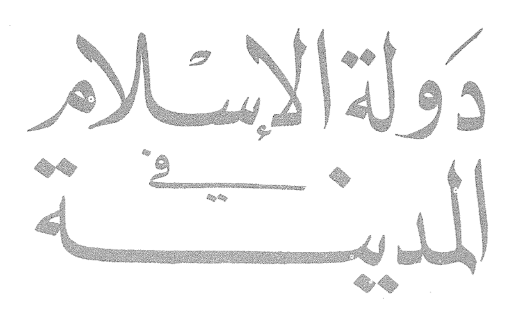
---

(١) رواه البيهقي في السنن .

(٢) الزج بضم الزاي والجيم المشددة : الحديد الذي في أسفل الرمح .

(٣) الاعصار : ريح شديدة معها غبار .

(٤) الجعرانة بكسر الجيم وسكون العين موضع بين الطائف ومكة ، وهو الى مكة أقرب وقد نزلها الرسول مرجعه من حنين لما قسم غنائم هوازن .



للدكتور عماد الدين خليل

بدأ الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، منذ دخوله المدينة ، يسعى الى إنجاز المهام الملقاة على عاتقه في مطلع المرحلة الجديدة من الدعوة والتي تستهدف انشاء (الدولة الاسلامية) على أسس راسخة وتهيئة كافة الشروط والمتطلبات لتحقيق هذا الهدف .. ولقد كان بناء المسجد الخطوة الأولى على هذا الطريق ، ثم أعقبه إصدار (الوثيقة) و (المؤاخاة) بين المهاجرين والأنصار وتشكيل (جيش) اسلامى مقاتل يمتلك القدرة على حماية الدولة الناشئة والمساعدة على تحقيق أهدافها فى الوقت نفسه .

اولا ـ المسجد :

دخل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ المدينة في ضحى يوم الاثنين الثانى عشر من شهر ربيع الأول ، بعد ثلاث عشرة سنة من مبعثه ، وكان راكبا ناقته (القصواء) ، وكلما مرّ بعشيرة من انصاره رجوه ان ينزل فيهم وقالوا : يا رسول الله ، أقم عندنا في العدد والعدة والمنعة ، فيجيبهم : خلوا سبيلها ـ أى الناقة ـ فانها مأمورة . فجاوزت به بنى سالم بن عوف وبنى بياضة وبنى ساعدة وبنى الحارث بن خزرج وبنى عدىّ بن النجار . حتى اذا أتت دار مالك بن النجار بركت فى المكان الذى بنى فيه الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مسجده . وكان يومئذ مربدا لغلامين يتيمين من بنى النجار يربيهما معاذ بن عفراء ، فنزل

عنها الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وحمل ابو أيوب خالد بن زيد رحلــه ووضعه فى بيته حيث نزل عليه الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ ضيفـا لحين اتمام بناء المسجد والحجرات التى اقام فيها الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأهله بعد قليل . وعندما سأل عن المربذ : لمن هو ؟ أجابه معاذ بن عفراء : هو يا رسول الله لسهل وسهيل ابنى عمرو ، وهما يتيمان لى ، وسأرضيهما عنه فاتخذه مسجدا .

أصدر الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ أمره فى البدء ببناء المسجد ، واسهم بنفسه فى العمل جنبا الى جنب مع المهاجرين والأنصار . وعندما رأى هؤلاء رسولهم الكريم يجهد كما يجهدون ، نشطوا فى أداء المهمة وراحــوا ينشدون :

لئن قعدنا والرسول يعمل   لذاك منا العمــل المضــلل

(لا عيش الا عيش الآخرين .. اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة) .

فيجيبهم الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ : .. اللهم ارحم المهاجرين والأنصار ..) .

وسرعان ما غدا (المسجد) رمزا لما يتسم به الاسلام من شمولية وتكامل ، فقد أصبح مركزا روحيا لممارسة الشعائر وأداء العبادات ، ودائرة سـياسية ــ عسكرية لتوجيه علاقات الدولة فى الداخل والخارج ، ومدرسة علمية وتشريعية يجتمع فى ساحتها أصحاب الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ وتدار فى باحاتها الندوات وتلقى على منبرها المتواضع التعاليم والكلمات ، ومؤسسة اجتماعية يتعلم المسلمون فيها النظام والمساواة ، ويمارسون التوحيد والاخاء والانضباط ، ومما لا ريب فيه أن (نقص) أموال الدولة الاسلامية فى سنيها الأولــى ، وانشغالها الدائم فى الداخل والخارج ، لم يمكنها من بناء وانشاء مزيــد من المؤسسات المتخصصة لكى تمارس كل منها المهمة التى عهدت اليها ، الأمر الذى جعل المسجد يزدحم بالوظائف والمهام ويغدو ــ على بساطته ــ (مجمعا) تلتقى فيه وتصدر منه كافة فاعليات الحكومة وجزءا مهما من نشاطات الجماعة الاسلامية ، فى علاقاتها الداخلية والخارجية على السواء .

لقد كان بناء المسجد « هو الخلية الأولى للبناء الاجتماعى للأسرة والجماعة بوصفه أداة صهر المؤمنين بالاسلام فى وحدة فكرية واحدة ، من خلال حلقات العلم والقضاء والعبادة والبيع والشراء وإقامة المناسبات المختلفة .. فلم يكن المسجد معبدا أو مقرا للصلاة وحدها بل كان شأنه شأن الاسلام نفسه ، متكاملا فى مختلف جوانب الدين والسياسة والاجتماع »

ثانيــا ــ الصحيفــة :

قررت الصحيفة أن المسلمين أمة واحدة من دون الناس .. وبهذا التقرير الغى النبى الحدود القبلية ، وعلى الأقل لم يجعل لها وجودا رسميا بالنسبة للدولة أو بلفظ آخر ، ارتفع هو عن المستوى القبلى المحدود ، وبهذا أصبح الاسلام ملكا لمن دخل فيه ، فدخل بناء على هذه القاعدة شعوب كثيرة فى الاسلام دون أن يضع

الرسول أمامها عقبات تحول بينها وبين الاشتراك فى حياة العالم الاسلامى .
لقد أقرت الصحيفة مفهوم الحرية الدينية — وما يترتب عليه من حقوق المواطنة — بأوسع معانيه ، وضربت عرض الحائط مبدأ التعصب ومصادرة الآراء والمعتقدات . ولم تكن المسألة مسألة مناورة مرحلية ريثما يتسنى للرسول صلى الله عليه وسلم تصفية أعدائه فى الخارج لكى يبدأ تصفية أخرى ازاء أولئك الذين عاهدهم .. وحاشاه .. انما صدر هذا الموقف السمح المنفتح عن اعتقاد كامل بأن اليهود باعتبارهم أهل الكتاب ، سيتجاوبون مع الدعوة الجديدة وينهضون لاسنادها فى لحظات الخطر والصراع ضد العدو الوثنى المشترك — كما اكدت بنود الصحيفة نفسها — أو أنهم — على أسوأ الاحتمالات — سيكفون أيديهم عن اثارة المشاكل والعقبات ووضع العراقيل فى طريق الدعوة وهى تبنى دولتها الجديدة وتصارع قوى الوثنية التى تتربص على الحدود .. لكن الذى حدث بعد قليل من أصدار الوثيقة ، وطيلة سني العصر المدنى ، غير مجرى العلاقات بين المسلمين واليهود وجمد البنود المتعلقة بهم ، لا لشىء الا لأنهم اختاروا (النقض) على الوفاء ، والخيانة على الالتزام ، والانغلاق على مصالحهم القومية على الانفتاح على الأهداف العامة الكبيرة للأديان السماوية جمعاء .
إن اصدار الوثيقة يمثل تطورا كبيرا فى مفاهيم الاجتماع والسياسة ، فهذه جماعة تقوم لأول مرة فى الجزيرة العربية ، على غير نظام القبيلة وعلى غير أساس رابطة الدم ، حيث انصهرت طائفتا الأوس والخزرج فى جماعة الأنصار ، ثم انصهر الأنصار والمهاجرون فى جماعة المسلمين ، ثم ترابطت هذه الجماعة المسلمة مع اليهود الذين يشاركونهم الحياة فى المدينة الى أمد ، ولأول مرة بحكم القانون حيث ترد الأمور الى الدولة .. ومن خلال تغيير شامل وتحول سريع طوى الدستور صفحة اجتماعية بطابعها القبلى وفتح صفحة جديدة اكثر ايجابية واقرب الى الترابط والتكافل والوحدة الفكرية .

ثالثا — المؤاخاة :

وخطا الرسول — صلى الله عليه وسلم — خطوته الأخرى التى أراد أن يحل بها الأزمة المعاشية التى اجتاحت المهاجرين بعد مغادرتهم مكة ، وينظم علاقاتهم الاجتماعية باخوانهم الأنصار ، ريثما يستعيد المهاجرون مقدرتهم المالية ويتمكنون من بلوغ مستوى الكفاية الاجتماعية . فاعتمد أسلوب المؤاخاة والمشاركة بين الطرفين وقال : (تآخوا فى الله اخوين اخوين) فكان ممن تآخوا على سبيل المثال — واثبتت لنا المصادر أسماءهم : أبو بكر الصديق مع خارجة بن زهير وعمر بن الخطاب مع عتبة بن مالك ، أبو عبيدة بن الجراح مع سعد بن معاذ ، عبد الرحمن بن عوف مع سعد بن الربيع ، الزبير بن العوام مع سلمة بن سلامة ، عثمان بن عفان مع أوس بن ثابت ، طلحة بن عبيد الله مع كعب بن مالك ، سعيد بن زيد مع ابى بن كعب ، مصعب ابن عمير مع أبى أيوب خالد بن زيد ، أبو حذيفة بن عتبة مع عباد بن بشر ، عمار ابن ياسر مع حذيفة بن اليمان ، أبو ذر الغفارى مع المنذر بن عمرو ، حاطب بن

أبى بلتعة مع عويم بن ساعدة ، سلمان الفارسى مع أبى الدرداء ، بلال مع أبى رويحة . .

لقد كان (الإخاء) تجربة رائدة فى تاريخ العدل الاجتماعى ، ضرب الرسول — صلى الله عليه وسلم — فيه مثلا على مرونة الاسلام وانفتاحه ، فى الظرف المناسب ، على اشد (أشكال) العلاقا تالاجتماعية مساواة وعدلا ، ورد فيه وفق المنطق الإلهى الذى لا يحابى ولا يداجى على كل القائلين بأن الاسلام جاء لكى يمثل (إصلاحا) جزئيا للمسألة الاجتماعية ، لأن (العصر) الذى تصوغه (وسائل الانتاج) لم يتح له أن يتحرك لصياغة عالم جديد من العلاقات لم تسمح (المرحلة الانتاجية) بعد بصياغته ولم تأمر بها !! فهناك المزيد من التجارب الاجتماعية التى تصفع هذا التحليل الخارجى الصارم . تلك التجارب التى لا تقل فى خطورتهـا ودلالتها عن تجربة المؤاخاة . .

لقد نجحت التجربة لأن الأرضية التى اقيمت عليها ، والقيادة التى خططتها ونفذتها استكملتا كل شروط النجاح فى مجتمع شاب يحكمه مبدأ العطاء قبل الأخذ . وتشده أواصر العقيدة وحدها ويوجهه الايمان العميق فى كل حركاته واعمالـه وفاعلياته . . ويقوده الرسول الأسوة الذى ضرب ، بتجرده وايثاره وانسلاخه عن الأخذ وعطائه الدائم ، مثلا عاليا ومؤثرا يحرك حتى الحجارة الصم لكى تنبجس فيتدفق منها الماء . . وأنى لتجربة كهذه أن تفشل وتتعثر والرسول — صلى الله عليه وسلم — يخوض مع أصحابه تجربة الفقر والجوع فى سنى الهجرة الأولى ويعانى كما يعانون . . دون أن يفكر يوما بأن يمتطى (منصبه الأعلى) ليسلك طريقا آخر غير الذى يسلكه اتباعه ، فيثرى ويفقرون ويشبع ويجوعون ، ويأخذ ويعطون . . أو لم يشك له أصحابه يوما الجوع ، ويكشفوا عن بطونهم التى شد كل منهم عليها حجرا ، لكى يؤكدوا له ما يعانونه . . فماذا به يبتسم ، وقبل أن يتكلم يكشف عن بطنه فاذا بقطعتين من الحجارة قد شدتا عليها ؟ !

إن تجربة المؤاخاة نجحت ، وكان لا بد لها أن تنجح ، ما دامت قد استكملت الشروط وتهيأت لها الاسباب فى القيادة والقاعدة على السواء ، وبغض النظر عن عدد الذين تآخوا عشرات كانوا أم مئات أم الوفا . .

وخلال ذلك أخذت الصلاة شكلها النهائى ، وفرضت زكاة الفطر ، وكتب الصيام ، ورسمت الحدود وفرض الحلال والحرام ، وحدد (الأذان) كنـداء يدعى به المسلمون الى الصلوات الخمس ، وكانوا يجتمعون لمواقيتها ، دونما دعوة . أما القبلة فقد كانت لأول أمرها متجهة صوب بيت المقدس ثم حولت الى الكعبة بعد سنة ونصف من الهجرة .

رابعـا — الجيش :

هنالك أسباب عديدة ومتشعبة ، تفسر عدم السماح للرسول — صلى الله عليه وسلم — باعلان الجهاد (المسلح) ضد الوثنية حتى أواخر العصر المكى ،

هدف الهجرة

وعلى وجه التحديد : الأيام التي سبقت بيعة العقبة . وهذه الاسباب ترتبط ولا ريب بالاسلام كحركة وبالأرضية أو البيئة التى يتحرك عليها . اذ لم يكن الاذن بالقتال لأصحاب الرسول قبل أن يكتمل نموهم العقيدي ويصل مرحلة النضج ، وقبل أن يزداد (عددهم) بما يمكنهم من توجيه ضرباتهم المؤلمة وتحمل الضربات المضادة من جهة أخرى ، دون أن يتعرضوا للتشتت والفناء ؛ وقبل أن يضع الرسول — صلى الله عليه وسلم — خطواته الاولى صوب بناء (الدولة) التى ستحمل العقيدة الجديدة وتحميها ، منتقلا بذلك من مرحلة بناء الانسان المسلم والجماعة المسلمة والتى استغرقت العصر المكى كله .

وفى الجهة المقابلة كانت (البيئة) التى يتحرك فيها الاسلام بيئة قبليـة تعير اهتاما كبيرا لصلات النسب والقربى ، الأمر الذى مكن الرسول — صلى الله عليه وسلم — من

أن يجد حماية (طبيعية) فى عشيرته بنى هاشم التى ذاقت معه — بسبب تقاليد مكة القبلية — اشد تجاربه المرة والمتمثلة بسنى الحصار الصعب فى شعب ابى طالب . وكان رفع السلاح بوجه المشركين سيستفز عشيرة الرسول نفسه ويبعدها عن نصرته فتتركه وأصحابه وحيدين ليس من يحميهم ، فتحصدهم سيوف قبائل قريش جميعا . أما وهو ينشر دعوته (سلما) ويتعرض وأصحابه لذلك الاضطهادالذى لم يصل حد محاولة القتل الا فى اللحظات الأخيرة ، فان ذلك لم يؤد الى ابقاء بنى هاشم وأحلافهم الى جانب دعوته فحسب ، بل استفز نخـوة الكثيرين من رجالات وأبناء القبائل الأخرى للظلم الذى يلحـق بأبنائهم وأخوانهم ودفعهم الى مناصرة الدعوة الجديدة أو الانتماء اليها . وما يقـال عن التركيب القبلى للمجتمع المكى ، يقال عن جزيرة العرب كلها حيث كانت قبائلهـا ستقف مرتاحة لزعيمتها قريش وهى تحصد رؤوس مجموعة من بنيها القتلة الذين حملوا السلاح ضد آبائهم واخوانهم ، ومهتاجة مغضبة ازاء الظلم والقسوة والاضطهاد الذى ينصب على الدعاة الجدد دون أن يحملوا سلاحا أو يقتلوا أحدا .. هـذا فضلا عن الأمل العميق فى هداية قريش وانتمائها الى الدين الجديد ، واعتمادها — كأعرق قبيلة فى الجزيرة — منطلقا الى العرب جميعا .

الا أن مرحلة بناء الانسان والجماعة المسلمة ما كادت تشرف على نهايتها ، ويضع الرسول — صلى الله عليه وسلم — خطواته الأولى صوب بناء الدولة الاسلامية فى (يثرب) ، وتصعد قريش اضطهادها ومقاومتها لاتباع الدين الجديد، حتى نزل الأذن بالقتال المسلح ، قبيل بيعة العقبة الثانية التى انهت العصر المكى وفتحت الطريق الى العصر المدنى الجديد .

ورغم أن أتباع الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان معظمهم قد مارسوا القتال فى جاهليتهم وعرفوا كيف يحملون السلاح ويستخدمونه فى ظروف لا (يبقى) فيها من لا يحمل سلاحا ، ورغم أن الأنصار الذين قامت دولة الاسلام فى المدينة على اكتافهم ، قد أعربوا للرسول يوم بيعتهم الأخيرة فى العقبة عن قدراتهم فى القتال وبأسهم فى الحرب ، وقالوا : « نحن أبناء الحروب ورثناها كابرا عن كابر »

. . الان الظروف الجديدة التى بدأ الاسلام يجتازها ، وتصاعد الموقف الحربى بينه وبين القوى الوثنية وبخاصة فى اعقاب الهجرة الى المدينة ، ونزول الآيات القرآنية تؤذن ببدء القتال المسلح ، حتم على الرسول ان ينمى هذه القدرات وان يدفع اتباعه الى مزيد من التدريب والمهارة العسكرية فى مواجهة الأعداء الـــذين يحيطون ـ بالدولة الجديدة احاطة السوار بالمعصم . وراح الرسول القائد ، طيلة العصر المدنى ، يعمل ـ دونما وهن ـ على تعليم اتباعه فنون القتال وتدريبهم على استعمال السلاح ، رافعـا شعارا واضحا لا غموض فيه (. . **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شىء فى سبيل الله يوفّ اليكم وأنتم لا تظلمون**)) (الانفال) ، معتمداً فى سعيه لتكوين (المقاتل المسلم) علـى اسلوبين متوازيين : التوجيه المعنوى والتدريب العملى .

فى اولاهما كان الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يسعى الى رفع معنويات المقاتلين ، بمنحهم أملا يقينيا بالنصر أو الجنة . ومنذ تلك اللحظات ، وفيما بعد ، ظل هذا (الأمل) يحدو الجندى المسلم فى ساحات القتال ويدفعه الى بذل كل طاقاته وقدراته النفسية والجسدية والفنية من اجل كسب المعارك أو الموت تحت ظلال السيوف ، مجتازا باستشهاده الخاطف السريع ، الجسر الذى يصل أرض المعركة بالجنة ، حيث الخلود الدائم والنعيم المقيم ولذة القرب من الله سبحانه الذى قال مخاطبا المؤمنين : **(ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما آتاهم الله . .)** آل عمران . وهذا (البذل) الذى شهده تاريخ الاســـلام منذ عهد الرسول صلى الله عليـــه وسلم هو الذى كان يفجر طاقات المسلم القتالية ويميل كلا منهم الى عشر مقاتـــلين !! وينادى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ أصحابه دوما ، فى لحظات المصير الحرجة بين النصر والهزيمة لكى يهرعوا الى احدى الحسنيين : النصر او الجنة !!

أما الأسلوب الثانى الذى اعتمده الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وهو التدريب العملى ، فقد سعى من خلاله الى اعتماد كل طاقات الأمة القادرة على البذل والعطاء : رجالا ونساء ، صبيانا وشبابا وشيوخا ، والى التمرس على كل مهارة فى القتال : طعنا بالرمح وضربا بالسيف ورميا بالنبل ومناورة على ظهور الخيل ، كما أكد على ضرورة تعلم القتال فى كل ميدان برا وبحرا !! تنفيذا لشعار الله (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) (الانفال) على اطلاق (القوة) !!

قال : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، الا إن القوة الرمى ، الا ان القوة الرمى) رواه مسلم وغيره والرمى يعنى إصابة الهدف . . وحتى العصر الحـــديث والحروب (التقنية) ، تجنى الانتصارات ـ بالدرجة الاولى ـ بمقدار مقـــدرة الجندى على اصابة هدفه بالرصاصة او القنبلة او الصاروخ . . وقال . . (الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة) (الاجر والمغنم) رواه البخارى دفعا لأصحابه الى التمرس على الفروسية وتعلم ركوب الخيل فى قتال يلعب فيـــه الفرسان دورا كبيرا .

وقال (صلى الله عليه وسلم ـــ وهو يمزج خطى التربية العسكرية المتوازيين : التوجيه والتدريب ، الأمل بالنصر أو الجنة ـــ وتقديم الجهد فى ساحة القتال أو فى الخطوة الخلفية ، صنعا للسلاح أو إمدادا به (أن الله عز وجل ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه يحتسب فى صنعته الخير ، والرامى به ، ومنبله) (رواه أحمد والثلاثة) وشاهد رجل فى أطراف المدينة ، عقبة بن عامر يحمل السلاح ويمارس التهدف ، راكضا من مكان الى مكان ، فسأله (تختلف بين هذين الموضعين وأنت شيخ كبير ؟) أجابه الشيخ (لأمر سمعته من رسول الله (صلى الله عليه وسلم ـــ قال : وما ذاك ؟ أجاب الشيخ : (سمعته يقول : من تعلم الرمى ثم تركه فليس منا) ! بهذه اللهجة الحاسمة (ليس منا) ذلك أن الذى لا يعرف السلاح ابتداء والذى يعرفه حينا من الوقت ثم ينساه ، سواء .. على العكس ان هؤلاء الذين يذهبون إلى سوح القتال وهم يحملون سلاحا لا يعرفون كيف يضربون به ، سرعان ما يتعرضون للارتباك والرعب فتحصد رؤوسهم ويكونون كارثة على رفاقهم الذين يشل الموقف قدراتهم على استخدام السلاح .

بهذه الاجراءات الاربع وضع القرآن الكريم والرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ القواعد الأولى لدولة الاسلام فى المدينة ، وأخذت التشريعات المنبثقة عن هذين المصدرين ، تنمو وتتسع يوما بعد يوم ، لا بطرائق نظرية تجريدية منفصلة عن الحياة والواقع ، وانما وفق نفس الاسلوب الذى كانت الآيات المكية تتنزل فيه لكى تبنى العقيدة فى اذهان ونفوس الانسان والجماعة المسلمة وهو اسلوب يرتبط ارتباطا عضويا حيويا بالواقع الحركى والتجربة الحية المعاشة ، ومن ثم تجيىء معطياته أشد التصاقا بحركة المسلمين ونمو دولتهم ، وأكثر التحاما بتجربتهم المحسوسة ، وواقعهم المعاشى ، واعمق فهما وإدراكا لمتطلباتها وابعادها القانونية والسلوكية نظرا لمواكبتها لمشاكلهم وتجاربهم اليومية ساعة بعد ساعة ويوما بعد يوم .

لقد بدأت مرحلة بناء الدولة الاسلامية (العقائدية) فى أعقاب الهجرة حيث كانت المرحلة السابقة مرحلة بناء الانسان المسلم والجماعة المسلمة قد اكتسبت ملامحها الاساسية فى العصر المكى ، وغدا المسلمون ـــ أفرادا وجماعات ـــ على استعداد نفسى وذهنى كاملين لتقبل ما سيجيىء من تشريعات وما سيفرض من تنظيمات ويوضع من حدود ويرسم من علاقات بعد أن هيأهم النضج العقيدى لتقبل كل ما يصدر عن الله ورسوله و (الاسلام) له و (الايمان) به و (التقوى) خلال ممارسته فى السر والعلن ، و (الاحسان) فى انجازه على احسن ما يكون الانجاز ، دون تردد أو سلبية أو خيانة أو غش أو تملص أو رفض أو تهرب .. انما هو الخضوع اليقينى المتبصر بأن هذا الذى يتنزل فى ميدان التشريع والتقنين انما هو الحق المطلق والخير الكامل والصواب الذى ليس بعده الا الضلال المبين .

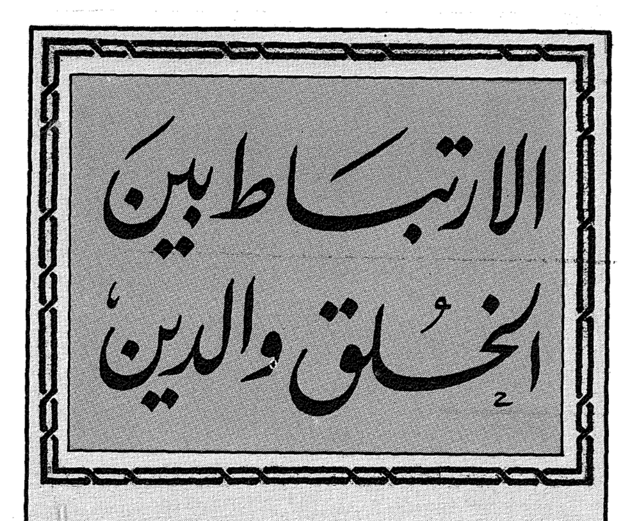
وقد أتاح هذا التطور لسير الدعوة الاسلامية أن يتأصل البناء الجديد

على اسس متينة متوغلة في أعماق النفس المسلمة على المستوى الفـــردي والجماعي على السواء ، فجاء متماسكا مترابطا ثابت الاركان ، فضلا عن ان الاحساس الجديد (بالزمن) و (بالمسؤولية) و (يقظة الضمير) التى غرستهـا العقيدة الاسلامية في النفوس ، دفعت المسلم ليس الى تقبل التشريعات والحدود والأوامر الجديدة وتنفيذها بدقة فحسب ، بل الى كسب الوقت و (المسارعة) في تحويلها الى وقائع معاشة وتجارب حية وترجمات يومية وصيغ منقوشة على صفحة المكان والزمان دفعتهم الى السعى (للاحسان) في الأداء والابـداع في التنفيذ من أجل بلوغ المرحلة القصوى من رضاء الله وطاعته .. وقد اتاح هذا كله اطرادا عجيبا في نمو الاجهزة التشريعية للدولة الناشئة وسرعة مدهشة في نزول متطلباتها الى الشارع والبيت والسوق والمسجد والميدان ، الأمر الذى يفسر لنا ، على المستوى الحضارى ، الاختزال الزمنى المدهش الذى مارسـه المسلمون وهم يبنون عالمهم الجديد وحضارتهم المتوازنة .

لقد كان من حسن حظ البشرية أن الاسلام تبرأ من أول يوم من حواجـز الجنس والارض واللسان واستهدف قيام الأخوة العالمية بين المؤمنين .. ولما كانت دعوة الاسلام لم تأت من البداية الى بلد معينة فانها كانت خطوة تقدمية الى الأمام نحو تحقيق ما بذلت المحاولات لتحقيقه من بعد وهو تدويل المجتمـع الانسانى .. وبجانب عالمية الدعوة فان الاسلام أقام نظام (الحج) ونظـام (الخلافة) من أجل تحقيق هذا الهدف .

ان دولة الاسلام هى دولة (العقيدة) التى قامت على أن السلطـة الحاكمة العليا هى الله .. القوة المحايدة التى تقرر المبادىء والموجهات العامة ، اذ هى لا تميل مع فرد أو جماعة ولا تنحاز لحاكم أو محكوم **(يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ، فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ، ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تأويلا)** .

لقد أعطى الاسلام بمجتمعه الاول ذلك النموذج الذى عاش مدى العصور فى نفوس المسلمين وعقولهم مثلا يحتذى وصورة شامخة من صور المثل الاعلى للمجتمع الانسانى السليم المتكامل الذى يقوم على الاخاء والحب والتسـامح والتكافل . وليس هذا المجتمع صورة مثالية غير واقعية ، ولكنه تطبيق أميـن لمفهوم الاسلام ومضمونه وايديولوجيته . وما تزال صورة هذا المجتمع الاسلامى الاول باتساقها وصلابتها وسلامتها فى فهم مضمون الاسلام ومنهجه تعطى علامة القوة فى تطبيق الاسلام .. فمن هذه الجماعة الاسلامية انطلقت (الدعـوة الاسلامية) إلى العالم كله .. وليس صحيحا ما يدعيه بعض المستشرقين ، ومن تابعهم ، من أن سياسة هذه الجماعة لا تلائم طبيعة العمران ، أو أنها توفقت الى رجال يندر اجتماعهم فى عصر .. ولم يكن مجتمع المدينة ، كما تحاول أن تصوره مختلف كتب السيرة ، مجتمع حرب وغزوات وقتال . فلو اننا احصينا عـدد الغزوات الكبرى فيه وأيامها لما تجاوز ذلك فى مجموعة بضعة شهور فى خـلال عشر سنوات . ومن هنا فان المجتمع الاسلامى فى المدينة قد قام فعلا وبنى خلالها دعامتين واضحتين : نظام مجتمع ونظام دولة ، كما بنى تشريعا وقانونا .



للدكتور وهبه الزحيلي

قامت المدنية الحاضرة على اسس من الفضائل ، ومجموعة من القيم الشخصية والاجتماعية والانسانية ، كانت منطلقا وفاتحة لكل تقدم ونهضة، وسبيلا راسخا لاتمام صرح وطيد الأركان شامخ البنيان ، ثم بدأت هذه المدنية تتعثر فى خطاها ، وتحفر بايديها قبرها المنتظر ، لأنها تخلت فى ابان مجدها وعنفوان شبابها عن القيم الانسانية ، والأخلاق السوية ، واتجهت فى منحى مادي بحت ، وبلغت حمى المادية الساخنة درجة الذروة فى دخيلة نفوس اغلب صانعيها ، والقائمين عليها ، فصارت الغاية تبرر الواسطة ، واصبح الشره او التطلع الى التخمة من متع الحياة الرخيصة هو المسيطر على الأفكار والمحرك للهمم ، والباعث على العمل الدائب الذى لا يعرف الراحة .

وكان تأثر المجتمعات المتخلفة ، والبلاد التى نكبت بالاستعمار الاثيم ، نتيجة هذا الانحراف فى مسيرة المدنية ، شديدا وخطيرا ، بل وانكى واضر ، مما اصيبت به مهاد المنشأ ، وبلاد التقدم والتصدير والتصنيع . فقد لاحظنا أن أثر الاستعمار فى اضعاف الخلق والدين كان

أشد الآثار ، وهذا أمر مقصود مخطط له ، فقد شاع فينا الفساد ، وعنينا بالقشور ، وتركنا الجوهر ، وضللنا الغاية والهدف الصحيح .

ومن المؤسف أن نجد أناسا يروجون للانحراف الخلقي ، ويحاولون وضع قيم للمجتمع على أساس من الهوى والعقل المحض الذي يزعم أصحابه أنهم دعاة تطور وتقدم وتمدن ، وأن الجديد ينبغي أن يحل محل القديم في كل شيء ، حتى في العادات والأعراف . والسبب الكامن وراء كل هذه الأهواء وتمييع مفهوم الاخلاق وتغيير المفاهيم هو بتر الصلة بين الدين والأخلاق ، وبين الدين والحياة ، وقصر الفضيلة على بعض المسالك الشخصية التي لا تضر ولا تنفع . لكن اتباع الهوى على هذا النحو مضيعة للقيم ، مجبة للخراب والدمار ، لأنه قطع للصلة بين الأمة وبين نور الهداية السماوي المتمثل حاليا في القرآن الكريم الذي هو بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ، ويهديهم الى صراط مستقيم . ومن مشكاة هذه الهداية انه حذرنا عن اتباع الأهواء ، فقال تعالى : **« أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم ، وختم على سمعه وقلبه ، وجعل على بصره غشاوة ، فمن يهديه من بعد الله ؟ أفلا تذكرون »** (الجاثية ٢٣) .

وتعاضد السنة النبوية كتاب السماء ، فيقول عليه الصلاة والسلام . « ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، واعجاب المرء بنفسه » رواه الطبراني .

ولقد أصبحت الثروة ، واقبال الدنيا على العرب ، وسعة المال ووفرة الغنى من أهم الاسباب المبعدة عن هداية الله ، وتشويه الأخلاق ، واضعاف القيم والفضائل ، أو الابدال بها غيرها . ومن أعلام النبوة المعجزة ما أخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن فقال : « ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم ، كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها ، كما تنافسوها ، فتهلككم كما أهلكتهم » رواه البخاري ومسلم « ان مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها » رواه البخاري ومسلم .

وكأني بالنفط والثروة المعدنية في جزيرة العرب وحوض الفرات أراه منوها عنه في أحاديث نبوية أخرى : « يوشك الفرات أن يحسر عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ويقول كل رجل منهم لعلي أكون أنا الذي أنجو » رواه مسلم . « لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض ، حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها ، وحتى تعود أرض العرب مروجا وأنهارا » رواه مسلم .

وهكذا أوجدت المدنية المعاصرة ، ومادية الحياة بين الناس في دنيا العرب والاسلام مجموعة من التناقضات والتعقيدات والانعكاسات المؤثرة في نفس المسلم ، وأدت الى شبه انفصال بين الدين والاخلاق السوية ، التي عهدها سلف المسلمين ، بل والى تحول وتغير في مفهوم الأخلاق في آفاق المجتمع ، وفي أواصر الأسرة ، وظلال البيوت .

فهل من ضرورة لارتباط الدين بالخلق فى واقع العصر ، وهل هناك تغاير أو تباعد فى المفهوم والغاية بين الدين والاخلاق ، وهل حل محل هداية السماء فتنة المدنية بقضها وقضيضها ، خيرها وشرها .. ؟!
الحقيقة أن هناك تلازما دائما بين القيم الخلقية ، والشرائع السماوية ، فلا تباعد بينها ، ولا انفكاك فى مفاهيمها ، وتؤدى كل منها غاية واحدة اذا ظلت الأخلاق فى مسيرة هداية السماء .
قال سعد زغلول : « كل شريعة تؤسس على فساد الأخلاق فهى شريعة باطلة » فالدين منبت الأخلاق ومصدر اشعاعها ونموها ، بل هو الرقيب عليها ، والمقوم لها اذا انحرفت أو تأثرت بالأهواء والمصالح المادية والشخصية . والاخلاق ايضا تساعد فى تقوية اليقين والاستمساك بالدين ، وتدفع الى ضرورة التزام اوامر الله وتجنب نواهيه .
ولقد حصر النبى صلى الله عليه وسلم مهمته بما أعلن : « انما بعثت لأتمم صالح الأخلاق » رواه ابن سعد والبخارى فى كتاب الأدب والحاكم والبيهقى عن أبى هريرة . فاستحق الثناء عليه من الله تعالى بأسمى الصفات الانسانية اذ قال عنه : **((وانك لعلى خلق عظيم))** (القلم ٤) . وهو الخلق الذى امره الله تعالى به وحدده له فى قوله سبحانه : **((خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين))** (الاعراف ١٩٩) . وكانت بذلك أمة النبى خير أمة أخرجت للناس ؛ ما دامت كما وصفها الله به من انها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر . ولقد فسر عبد الله بن المبارك حسن الخلق بقوله : هو طلاقة الوجه ، وبذل المعروف ، وكف الأذى . ويمكن القول بأن خلق الاسلام هو العمل بأحكام القرآن المجيد ، فمن عائشة رضى الله عنها أن سعيد بن هشام سألها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : كان خلقه القرآن ، الست تقرأ القرآن : قد أفلح المؤمنون .. أوائل سورة (المؤمنون) . وآية أخرى فى الدلالة على أصول الأخلاق هى قوله عز وجل : **((والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين))** (آل عمران ١٣٤) .
ووردت فى السنة النبوية أحاديث صحاح تشيد بالخلق الحسن ، وانه كاد يسع خيرى الدنيا والآخرة ، منها : « البر حسن الخلق » رواه مسلم والترمذى « ان من أكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا والطفهم بأهله » رواه الترمذى والحاكم وقال صحيح على شرطهما « ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة ، وشرف المنازل ، وانه لضعيف العبادة ، وانه ليبلغ بسوء خلقه أسفل درجة فى جهنم » رواه الطبرانى ورواته ثقات سوى شيخه المقدام بن داود وقد وثق . « ان احبكم الى أحاسنكم أخلاقا ، الموطئون أكنافا ، الذين يألفون ويؤلفون ، وان أبغضكم الى المشاءون بالنميمة ، المفرقون بين الأحبة ، الملتمسون للبرآء العيب » رواه الطبرانى فى الصغير والاوسط .
فالشريعة السماوية التى جاءت واسطة لاسعاد الانسان ، ودفعه الى اوج المدنية والعمران ، واقامة المجتمع الفاضل وتنظيم وجوه النشاط

لمختلفة والعلاقات الاجتماعية ، تكمل رسالة الأخلاق . والأخلاق التي هي أصول الفضائل الانسانية تحتضن شريعة الله ، فترسم طريق المعاملة الالهية ، كما ترسم طريق المعاملة الانسانية ، فتبلغ بالنفس أعلى درجات الكمال .

وبذلك يظهر ان الدين والاخلاق من مشكاة واحدة ، وغايتهما ، ونهايتهما متحدة ، ومغزاهما موحد ، فهما من جانبين مختلفين يؤديان غاية واحدة ، كشجرتين متجاورتين تظلل احداهما الاخرى ..

فالوفاء وشكر النعمة ، والاخلاص والصدق ، والأمانة والاستقامة والعفة والنزاهة ، والعدل والسخاء والشجاعة ، والمروءة والشهامة ، والنجدة والاغاثة ، والتراحم والتعاون ، والمجاهدة والعزة ، ونحوها ، كما هي نواميس اخلاقية ، كذلك هي أصـــول الدين ومنهج الشرائع السماوية ، وغاية الاصلاح والدعوة الدينية .

ويتضح لنا صدق هذا التلاقي بين الدين والخـلق ، أو بين الدين وتنظيم الحياة من عدة جوانب ، أهمها الجانب الالهى ، وجانب التعبد ، وناحية المعاملات والعلاقات الاجتماعية ..

ففي الجانب الالهى : اليس الاعتراف بوحدانية الاله الخـــالق ، والايمان بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلا ، طريق الســـمو والتكريم الانساني وعزة النفس ، وعرفان الجميل وتقدير النعمة وشكر المنعم ؟

وفي جـــانب العبـــادات : اليس تطبيق انظمتها وقوانينهـــا بثقـــة وعقيدة وخشوع واطمئنان وســـيلة لتربية الضمير وتقوية الوجدان ، وشحن النفس بالعواطف الخيرة التي تسمو عن أوضار المادة الطاغية ، وتقوى الروح ، وتشحذ العزيمة ، وتربى الارادة الصلبة ، وتتغلب على كل عوامل الضعف السلبية .. ؟! فهل الصلاة المقرونة بحضور القلب ومراقبة الله وخشيته وتعظيم الحق واجلال الله ، سوى واسطة للنهى عن الفحشاء والمنكر ، والكف عن السوء والأذى ، والبعد عن مختلف انواع الجرائم الشخصية والاجتماعية ، الأدبيـــة والمادية .. ؟! وهـــل الطهارة الا ملاذ الصحة ونقاء البشرة ونظافة الانسان ودفع الضرر عنه ؟!

وهل الصيام المروض للنفس والجوارح والاعضاء سوى أنه تدريب عملى فعال لاحتمال المكاره ، والصبر عند الشدائد ، وعن الشهوات ، وتقوية الارادة ، وتعلم فضيلة الصدق والامانة والوفاء ، وضبط النفس عند الأهواء ، والعفة والقناعة ، والاحساس بألم الجائعين ، وشـــدة المكروبين ، ورقة المشاعر ، وتنمية العواطف الانسانية الرحيمة .. ؟! : **« ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشـــــكرون »** (البقرة ١٨٥) .

وهل الحج بقطع المسافات والأسفار سوى كونه نقلة مادية للتعرف على اخوة العقيدة ، وغرس الشعور العملي بالتواضع والمساواة بين الناس : « الناس كلهم لآدم ، وآدم من تراب ، ان اكرمكم عنـــد الله اتقاكم » ؟! هذا فضلا عما في الحج من فوائد اقتصـــادية واجتماعية وسياسية ودينية اخرى بتقديم العمل الصالح لعالم الآخرة ليكون دليلا

على صلاح الانسان : ((**ليشهدوا منافع لهم ، ويذكروا اسم الله فى ايام معلومات**)) (البقرة ٢٠٣) ((**الحج اشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج**)) (البقرة ١٩٧) .

وهل الزكاة والصدقات والنذور والكفارات وبقية الواجبات المالية العامة الا أنها أسمى مظهر اجتماعى لتضامن الغنى والفقير والفرد والجماعة وتأمين المصالح العامة ، وغرس فضيلة السخاء فى النفس ، وتطهيرها من رذيلة الشح والبخل ، واستلال الضغينة والحقد من قلوب البائسين ، وحقدهم على الاغنياء ، وانهاء مشكلة الصراع الطبقى فى أوساط المجتمع المسلم ؟! : ((**خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ، وصل عليهم ، ان صلاتك سكن لهم ، والله سميع عليم**)) (التوبة ١٠٣) .

وفى جانب العلاقات والمعاملات الاجتماعية أليست نظم الشريعة طريقا لاسعاد الفرد والجماعة ، واقامة معالم الفضيلة ، وتكوين المجتمع المثالى ؟! أليس توقيع العقاب على الجانى تأمينا وراحة للجماعة ، وصونا لحرمات الأموال والأعراض والنفوس والكرامة والحقوق الأدبية والمادية وسلامة الجسد والعقل وحياة الناس جميعا حياة مطمئنة راغدة مستقرة : « كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه » ((**ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب ، لعلكم تتقون**)) (البقرة ١٧٩) .

أليس تنظيم العقود والتصرفات المدنية واشتراط الشروط اقامة للعدل ، ومنع المنازعات ، وصيانة الحقوق المالية ، وتوفير الرضا ، والاستقرار ، والثقة فى التعامل بتحريم الغرر والمقامرة والجهالة والغبن والاستغلال والخديعة والتدليس والغش والتغرير والاحتيال ونحو ذلك ؟! وذلك من أجل عيش هانىء ، وحياة أطيب ، وسعادة أفضل ، وتكوين مجتمع قوى : ((**من عمل صالحا من ذكر أو أنثى ، وهو مؤمن ، فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون**)) (النحل ٩٧) .

ألم يكن تنظيم شئون الأسرة واعتبار الزواج ميثاقا غليظا وتوزيع الارث حفاظا على الأعراض وتقديس روابط الأسرة وتقرير بقاء النوع الانسانى ودعم علاقات الأقارب على أساس متين من البر والرحمة والإحسان والتعاون وعدم انحلال الأسرة لتكون صرحا قويا فى بناء المجتمع .. ؟!

ألم يعتبر تشريع الجهاد دفاعا عن النفس ودفع الظلم ورد العدوان وحماية كيان الأمة والبلاد والأوطان ، واعلاء كلمة الله والحق والعدل ، ونشر دعوة الاصلاح والخير فى بقاع الارض .. ؟!

ألا يعتبر اباحة الطيبات تكريما للانسان وحبا لبقائه وتقديرا له ، وأن تحريم الخبائث والنجاسات والمضار حفاظا على صحته وجسده وعقله ليكون عضوا قويا فى بناء المجتمع ، وليتمكن من اداء رسالته فى هذه الحياة .. ؟!

هل نجد أفضل من تنظيم الارث فى القرآن والسنة لتوزيع المال بالعدل وتفتيت الثروة وعدم حصرها فى أيدى فئة قليلة ، وابعاد

مستحقيها عن الوقوع فى النزاع والحقد والشحناء والتباغض ؟! ويمكن ان يقال مثل ذلك فى توزيع الغنائم والزكوات ونحوها من حقوق المـال الاجتماعية .

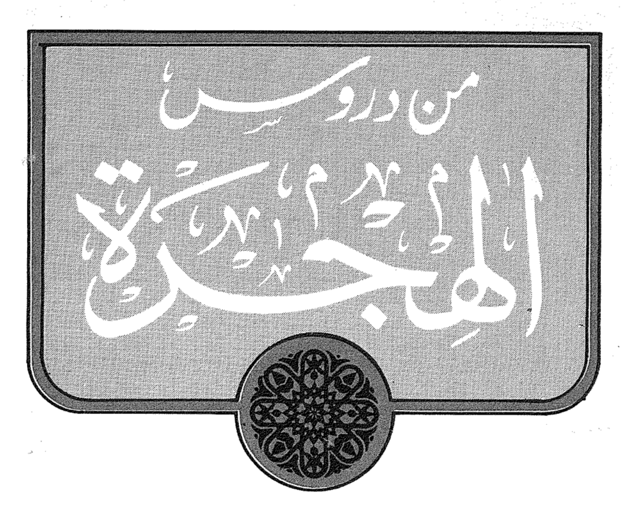
كل هذا دليل قاطع على أن الاسلام بالذات يستهدف من وراء كل تشريعاته اقامة مجتمع فاضل ، وتحقيق مغزى اجتماعى أصيل حتى فى العبادات كما بينا ، مما يدلنا على أن الدين أساس الأخلاق ، وأن الأخلاق الكاملة صورة صحيحة عن الدين ، فكل من لا خلاق له لا دين له ، وكـل من يدعى خلقا من دون دين فهو ماكر مخادع وصـياد للمنافع ، وبعيد النظر والفكر لاستغلال بعض جوانب الأخلاق لحماية وتأمين مصالحه ، فأخلاقه ناقصة ، وغير مقدسة وعرضـة للهزات والتميع والتبدل وفق المصلحة ..

وبرهان ذلك واقع أغلب الناس الآن ، فهم يعتبرون الخداع مهارة ، والكذب وسيلة ، والمواربة شطارة ، والنفاق كياسـة ولباقة ، والمـكر سياسة ناجحة ، والغدر والخيانة مصلحة مطلوبة ، والغش والاحتيال مقدرة ، وخلف الوعد سائغ العذر . ويسوغون انقلاب هذه المفـاهيم واختلال معايير الفضيلة ، وعدم القدرة على تطبيق قوانين الدين والأخلاق بأن الظلم فشا فى المجتمع ، فأصبح العدل ظلما ، والفضـيلة رذيلة ، والصراحة وقاحة ، والاخلاص زيفا ، والصدق كذبا ، والعفة والأمانة سذاجة وتزمتا ورجعية ، والتدين هزءا وسخرية .. الخ وقد صـدق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ كان يدعو ويتعوذ قائلا : « اللهم انى أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء والأدواء » رواه الترمذى والطبرانى والحاكم .

ويبين خطورة التنكر للقيم والاسلام ، فيقول صلى الله عليه وسلم : « لتنتقض عرى الاسلام عروة عروة ، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتى تليها ، وأولهن نقضا : الحكم ، وآخرهن الصلاة » رواه أحمد .

فالدين والأخلاق أمران متلازمان ضروريان لاقامة كل مدنية فاضلة دائمة خيرة فى مصلحة الانسان ، ولن تكون فى مصلحته إذا لم ترع قيم الدين الثابتة ، ونظم الأخلاق المتفق عليهـا ، ولم تقتصر على النـواحى المادية القاسية ، أو الاغراق فى اللهو والترف والانحلال ، كما هى عليه حال بلاد الغرب فى أوروبا وأمريكا ، وبلاد الشرق فى روسيا وتوابعها . وحينئذ فلا تخدعنا المظاهر المدنية العارية عن الأخلاق والآداب والقيـم الانسانية العامة ، أو المعتبرة مجرد سمات كمالية محضة تأتى بعد ارواء المصالح ، أو للمتاجرة بها فى حقول الضعفاء والمساكين .

هذا ايماننا وعقيدتنا بضرورة تأسيس أى نهضة على أساس من الدين والخلق المتلازمين ، والا كانت هذه النهضة وقتية مهددة بالزوال والدمار ، لأن المدنية الحقة هى التى تجمع بين القوتين : المعنوية بتهذيب النفوس ، والمادية بدعم الاقتصاد والمال .



للشيخ عبد الله كنون

من أوضح الأدلة على أن الهجرة حدث عظيم فى حياة الاسلام أن الصحابة رضى الله عنهم جعلوها مبدأ التاريخ فلم يؤرخوا بمولده صلى الله عليه وسلم ولا بمبعثه ولا بغزوة بدر التى سجلت أول انتصار للاسلام على الشرك ولا بفتح مكة الذى طهر البيت الحرام من عبادة الأصنام ورفع راية التوحيد على جزيرة العرب فأصبحت منارا يهتدى به العالم فى ظلمات الجهل والالحاد .

ان كل هذه الاحداث تصلح لأن تكون مبدأ التاريخ الاسلامى لولا ما يقترن بكل منها من معنى لا يتلاقى مع هدف الرسالة الخالدة أو يضؤل أمام ما أدت اليه الهجرة من نتائج لانتشار الدعوة لا تطال ..

فالميلاد وان كان هو مبدأ انبثاق النور المحمدى الا أنه ربما صرف الناس الى الاهتمام بذات الشخص ، والاسلام أتى حربا على هذا الاهتمام فانه قاد النصارى الى تأليه المسيح .

والبعثة هى فى الحقيقة أول مظهر تجلت فيه عناية الله بهداية الخلق من جديد ، بعد أن انحرفوا عن الصراط المستقيم وما أتتهم به الرسل السابقون من شرع ودين .. ولكن

اثرها لم يظهر ظهوراً بينا ولم يتحقق المراد منها الا بعد الهجرة ، وقد ذاق المسلمون في أعقابها الأمرّين ، وهاجروا فرارا بدينهم الى الحبشة ، وكانت الأعوام التي تلتهـا ، فترة امتحان شديد لهم وللنبي نفسه عليه الصلاة والسلام ..

كذلك وقعة بدر وفتح مكة ، فانهما معركتان هامتان أدال الله بهمـا للمسلمين من عدوهم وأعقبهم نصرا وتمكينا ، إننااذا نظرنا الـى الامـر بعين الواقع ، نجد انهما من ثمرة الهجرة وخيرها وبركتها .

فالهجرة اذن هي المنطلق العملي والموقف الحاسم في تاريخ الاسـلام وكل ما تحقق بعدها من منجـزات وتتابع من نجاحات فهو محسـوب عليها وراجع اليها ؛ ولذلك لما تداول عمر مع الصحابة في أمر التـاريخ فقال بعضهم أرّخ لمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم لمهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال هو لا بل نؤرخ لمهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فان مهاجره فرق بين الحق والباطل ، كما جاء في تاريخ الطبري وغيره .

ولا شك أن الهجرة كانت تضحية كبيرة من المسلمين الأولين ، فقـد فارقوا أرضـهم وتركوا أموالهم وديارهم في سبيل المحـافظة على عقيدتهم والممارسة لدينهم وحريتهم ، ومنهم من فارق أهله وذويه وأحب الناس اليه من أب وأم وزوجة وولد ، صدعا بأمر ربهم وايثارا لطاعتـه وطاعة رسوله على أهواء أنفسـهم كما قال تعالى في حقهم :

« للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون » .

وقد قوبلت هذه التضـحية من مسلمي المدينة ، وهم الأنصار ، بما تقتضيه الاخوة في الدين من تعاون وتضامن ، فخلطوهم بأنفسـهم وتقاسموا معهم أموالهم وديارهم ، وآثروهم على الحاجة بما عندهم كما قال عز وجل فيهم : **« والذين تبوأوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويوثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » .**

وكانت أعظم نتائج هذه الحركة هي تجمع المسلمين في موطن واحد يمكنهم من الدفاع عن أنفسهم والدعوة الى دينهم والتجـاهر بما لم يـكونوا يستطيعون التجاهر به من العمل على ارساء قواعد المجتمع الاسلامي واقامة حكومة شرعية تناهض الفساد والظلم والاستبداد ، وهكذا ما كادت تمـر سنة على حادث الهجرة حتى وجـد المشركون أنفسهم أمام قوة اسلامية تقاتلهم على كلمة الله ومقـاومة التجبر والطاغوت ، تنتصف منهم وهي قلة قليلة وينهزمون مثخنين وهم كثرة كاثرة .

انها قوة التجمع والتكتل تساندها العقيدة الصادقة والايمان الراسـخ فتفعل الاعاجيب وتصنع المعجـزات ولو بقي المسلمون متفرقين موزعين ما بين مكة والمدينة ، لما استطاعوا

ان يفعلوا شيئا ، وان كان الله قادرا على نصرة نبيه واعلاء كلمته ، ولكنه عز وجل لم يشرع الشرائع وينزل الأديان بما يخالف سننه فى الكون وأحكامه فى الخلق من تعاطى الاسباب واتخاذ الوسائل ، ولذلك قاتل النبى صلى الله عليه وسلم واعد العدد وحفر الخندق وبعث السرايا وخرج فى غزوات عديدة بنفسه يريد جهة ويورّى بغيرها لأن الحرب خدعة ، واستطلع أخبار العدو وأقام الحراس واخذ بالاحتياط فى شؤون التموين وغيره وعالج المرضى والمجروحين ولم يترك الأمر فوضى ويقل إن على الله أن يكفينا ويصلح أحوالنا بدون سعى ولا عمل .

واستفاد أصحابه من هذا الدرس فقال له المقداد يوم بدر : لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لنبيهم : **« فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون »** بل نقول : « اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون » ولما قال أبو عبيدة لعمر وقد عدل عن دخول الشام حين علم أن الطاعون أصابها : « أفرارا من قدر الله يا عمر ؟ أجابه عمر : نعم نفر من قدر الله الى قدر الله ! لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ! » يعنى لأدبته .

ان الحركية التى دبت فى المسلمين بسبب الهجرة والنتائج الملموسة التى ترتبت عليها ، هى التى دفعت بهم بعد ذلك الى فتح البلاد واخضاعها لحكم الاسلام ، فلم تمر على قيام الدعوة الاسلامية ثلاثة عقود حتى دخلت فى طاعتها جميع الاقطار التى تكوّن امبراطوريتى فارس والروم ، ولم يكتمل القرن الأول حتى شمل نفوذها ما بين الصين شرقا واسبانيا غربا .

لقد كانت الهجرة هى المنطلق لهذا العمل الجبار ، وذلك لأن المهاجرين لم يكن وكدهم هو الايواء الى مكان أمين يطمئنون فيه على أنفسهم ودينهم ، كما يفهم الهجرة بعض الناس ، ولكنهم كانوا يطلبون الأمن والاطمئنان ، للتخطيط لمستقبل الاسلام ونشر الدعوة واعلاء كلمة الحق ومنع الظلم والتحكم فى رقاب العباد لأنهم فهموا أن هذا هو مرمى الرسالة المحمدية والغاية من بعثة النبى العربى عليه السلام وانزال القرآن واعداد الأمة العربية للمهمة العظمى التى حملها اياها هذا الكتاب العزيز المنزل بلغتها الضادية المبينة ، فقاموا على قدم وساق وبذلوا النفس والنفيس لتحقيق هذا الهدف وكانوا خير أمة أخرجت للناس ..

بهذا كانت الهجرة أبرز حدث فى نظر عمر رضى الله عنه حين وضع تاريخ الاسلام فأصبح يقابل تاريخ الميلاد فى جميع تواريخ العالم ، وبهذا المفهوم تصورها سلفنا الصالح حتى كان التجار منهم اذا نزلوا بلدا نائيا لم يبلغه الاسلام ولم تصله دعوته ، نصبوا انفسهم دعاة لله ومبشرين به فأسلم الطم والرم من سكان البلاد الافريقية والآسيوية بدون أن يجلب عليهم أحد بخيل ولا ركاب .

ثم نشأ بعد ذلك جيل فهم الهجرة فهما محدودا ، فكان اذا رأى بدعة او منكرا او حدث تسلط من العدو على بعض بلاد الاسلام شد الرحلة الى بلد يعتقد أنه بمأمن من سيطرة العدو ، أو أن شعائر الاسلام فيه بمنجي من التحدى والتطاول ، وهو يرى أنه هاجر الى الله ورسوله

اقتداء به صلى الله عليه وسلم وبصحابته الكرام .. وزاد في الطين بلة ان كثيرا من الفقهاء صاروا يفتون بتحريم الاقامة في ارض العدو أو ارض لا تقام فيها شعائر الاسلام ، ناسين أو متناسين هجرة الصحابة الاولى الى الحبشة ، وهي لم تكن ارض اسلام ، وما طوق الله به المسلمين من تبليغ الدعوة الى دينه لكل من لم تبلغه ، وان ذلك لا يتأتى وهم قابعون في عقر دارهم ولا باهمال واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كلما ظهر موجبه ، والانتقال الى بلد يظن المنتقل اليه أنه قائم على أمر الله لا مخالفة فيه لأحكام الشريعة ويعد ذلك هجرة ، فان صاحب الشرع عليه السلام قابل الهجرة بما يعادلها من العمل لنصرة الاسلام حين قال : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » فيصدق ذلك بالقيام بواجب الأمر والنهي وواجب التبليغ — طبعا — في دار الكفر والالحاد والوثنية . وهذا لا يتأتى الا بالسفر اليها والاقامة فيها .

وقد أخذ بهذا النظر مخالفونا في العقيدة وبخاصة المسيحيون ، فكانوا منذ العصور الوسطى التي شاعت فيها تلك الفتوى بيننا ، يقصدون بلادنا للاقامة صناعا وتجارا ومتجولين ، ومنهم من كان يقوم بالدعوة الى دينه ، ومن يتجسس علينا لصالح أمته ، وعظمت هذه الحركة واتسعت حتى نشأت عنها مأمورية التبشير والمبشرين وحركة الاستشراق والمخابرات وكثرت الجاليات الاجنبية في بلادنا واكتسبت حقوقا صارت تعرف بالامتيازات ، وربما عقدت بيننا وبين بعض دولهم معاهدات تعطينا نفس الحقوق في بلادهم لكنا لا نستعملها ولا نستغلها ، ففيما نرى الكنائس والمحلات التجارية والمنشآت الاجتماعية التي تخصهم قائمة في كل مكان من بلادنا ، لا نرى عددا من المساجد في بلادهم ولا من الجاليات الاسلامية . يضاهي ذلك من قريب أو بعيد .

وبقدر ما استفادوا هم من الهجرة الى بلادنا خسرنا نحن أعظم الخسارة فلم نبشر بدين ولم ننشر دعوة ولا روجنا تجارة ولا مارسنا حقوقا اكتسبناها بالمقابل بل لم نفتح أعيننا على حضارة جدت وصناعة تطورت ، وعلم وفنون ومعرفة تقدمت وازدهرت وغاب عنا الكثير منها ..

وها نحن اليوم بعد أن اضطرتنا الظروف القاهرة الى كسر ذلك المفهوم الخاطىء عن الهجرة ، واقبلنا على البلاد الاجنبية زرافات ووحدانا ، طالبين للمعاش بصفة عمال أو تجار صغار أو ما الى ذلك ، ما هي أعمالنا بشأن رفع راية الاسلام والدفاع عن كرامة بلادنا والدعاية لقضايانا ولا سيما قضية فلسطين والعدوان الاسرائيلي على بلاد العرب .. ؟

أخشى أن أقول لا شيء . ولكني اذا قارنتها بعمل اليهود في تلك البلاد أقول جازما ، لا شيء وقد كانت الحفنة القليلة من المسلمين الأولين الذين هاجروا الى الحبشة ، أكثر نشاطا منا وايمانا برسالتهم ، فلم يفتأوا أن اثروا في النجاشي نفسه وادخلوه في دين الاسلام وصار هو ايضا من الدعاة الى الدين الحنيف .

هذا ومهاجرونا الى أوروبا وأميركا يعدون بمئات الآلاف ، فلنأخذ هذا الدرس من الهجرة ، ولنحتفل بها على هذا الاساس ، أساس التبليغ والدعوة الى الاسلام ..



للأستاذ عبد القادر طاش التركستانى

● اساليب المنافقين فى محاربة الدعوة :

سلك المنافقون لمحاربة الدعوة الاسلامية طرقا متعددة .. واستعانوا فى حربهم ضد الاسلام بأسلحة خبيثة نذكر منها :

١ ــ الخداع والتمويه :

« يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون »(١) « ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم »(٢) .

والخداع : هو عدم مطابقة الظاهر للباطن ومن مظاهر خداعهم انهم « ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذى تقول والله يكتب ما يبيتون »(٣) وايضا « يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول . وكان الله بما يعملون محيطا »(٤) . وقد عمدوا الى الخداع ليحققوا ما ياتى :

أ) ان يكونوا محل احترام الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين .

ب) وأن يقوموا بأدوار التجسس ويتربصوا بالمؤمنين الدوائر ..

جـ) واتقاء القتل ان هم أظهروا الكفر .

د) والطمع فى الغنائم(٥) .

٢ ــ ومن أساليبهم « اضعاف شأن المسلمين فى الحروب » ويتضمن الوانا منها :

(١) التخلف عن الجهاد والقعود عن القتال فاذا رآهم من هو اقل منهم من العامة اقتدوا بهم وأدركهم شيء من الفتور والتثاقل وكان بعضهم يخرج مع المسلمين ولكنهم يعودون من

الطريق ويقولون ما ندرى علام نقتل أنفسنا فاذا رجعوا كان لذلك أثر فى رجوع طائفة من ضعفاء الايمـــان وعامة المسلمين كما حصل يوم أحد (كما سيأتى) :

(٣) وفى أحيان كثيرة لا يكتفـون بتخلف وقعـود بـل ويشـــيرون ــ بكل صفاته ــ على غيرهم بالقعود معهم ويزينون لهم التأخر .. فيقعد من يقعد ويخرج الى القتال من يخرج فاذا قتل هؤلاء قالوا (لو أطاعونا ما قتلوا) .

(٢) وفى أحيان كثيرة لا يكتفـــون مع الجيش المسلم ولم يرجعوا من الطريق لم يكن دأبهم الا السعى بالفتنة وبث روح التخاذل فـى الجيش (٦) .. وصدق الله « لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبـــالا ولأوضعــوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم » .

٣ ــ ومن أساليبهم : الوقيعة بين المسلمين واثارة الفتن والاضطرابات فى المجتمع الاســـلامى . وقد كانوا ينتهزون فرص الخـــلافات الفردية الطفيفة لتوسيع شقتها واذكاء نيران الخلاف والحمية الجـــاهلية بين المسلمين .. وفى غزوة بنى المصطلق تدافع غلامان على الماء أحدهما لرجل من المهاجرين والآخر لرجل من الانصار فصاح المهاجرى يا للمهاجرين وصاح الانصارى يا للأنصار .. وسمعهمـــا عبد الله بن أبى بن سلول فلم يتركها تمر دون أن يستغلها فرصة للتفرقة بين المســلمين فقال قولة الجهـــل والحقد : قد ثاورونا فى بلادنا والله ما مثلنا وجلاليب قريش هذه الا كما قال القائل : سمن كلبك يأكلك .. ثم أقبل على من فى مجلسه فجعـــل يعـــاتبهم ويلومهم قائلا : ما فعلتم بأنفســـــكم .. أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم .. أما والله لو كففتم عنهم لتحولوا عنـــكم من بلادكم الى غيرها .. والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . وأرادها الرجل فتنة بين المهـــاجرين والانصار .. ولكن الله أحبط كيده وحفظ جنده .. !

٤ ــ الغض من جلال الرسالة بالاستهزاء برجالها واختراع الأراجيف فى حقهم . فهم يسخرون من آيات الله ويستهزئون بها . « واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا » (٧) ويلمزون النبى صلى الله عليه وسلم فى توزيع الصـــدقات ويتهمون عدالته « ومنهـــم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن قل أذن خير لـــكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم» (٨) « وكانوا ينتقصون أتقياء المؤمنين فى ســـخرية وتهكم قال رجل منهم فى جماعة من صلحاء القراء : ما أرى قراءنا هؤلاء الا أرغبنا بطونا وأكذبنا السنة وأجبننا عند اللقـــاء » (٩) انه الحقد ولا شىء غيره .. !! والمنافقون هم الذين اختـــرعوا حديث الافك وتولوا كبره وكانوا يريدون بذلـــك ضرب الاسلام بتشكيك النـاس فى شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيتـــه .. (وسيـأتى حديث ذلك مفصلا) .. واغتـــنم المنافقون فرصة زواج النبى صلى الله عليه وسلم من السـيدة زينب بنت جحش فنشروا الدعايات المسمومة وعند تحويل القبلة ثارت أحقـادهم وطفقوا يتساءلون بوحى من اليهـــود والمشركين أسئلة تنضح ســـخرية واستهزاء وتشكيكا ..

٥ ــ ومن أساليبهم تدبير الاتصالات السرية مع اليهـــود والمشركين والنصارى للايقاع بالمسلمين . وقد

تقدم آنفا ذكر شيء من علاقة المنافقين بالجالية اليهودية بالمدينة وعرفنا كيف أنه كانت بين اليهود والمنافقين معاهدات سرية .. ونذكر هنا ايضا أن رهطا من المنافقين بزعامة (أبى عامر الراهب) قد سافر الى ملك الروم النصارى يستنصره على النبى صلى الله عليه وسلم فوعده ومناه . وأقام عنده . وقد كتب الى جماعته من أهل النفاق يعدهم ويمنيهم انه سيقدم عليهم بجيش رومى لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه سيغلبه ويرده عما هو فيه .

٦ — ومن أسلحتهم الشماتة من المؤمنين . فلقد « منى المنافقون بالفشل فى كل تدبير فلم يكن لديهم الا سلاح العجز والذلة وهو : الشماتة .. ان كان ذلك مما يعد سلاحا فصاروا يفرحون بمصائب المؤمنين ويتربصون بهم الدوائر » .. وقد أضفت هذه الشماتة « على قلوبهم أوضارا من الخسة والدناءة والى انفسهم أقنعة يتسترون بها من مهانة العجز »(١٠) قال تعالى : « ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك سيئة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون »(١١) وقال تعالى : « ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط »(١٢) .

وحدث أثناء بناء مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن مات أسعد بن زرارة رضى الله عنه فكان اليهود والمنافقون يقولون : لو كان نبيا لم يمت صاحبه .. !!

٧ — أسلوب التجويع — ان صح هذا التعبير — وقد اتبع المنافقون أسلوب التجويع ضد المسلمين وتشير الى ذلك الآية « يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا »(١٣) .

وهذا الاسلوب من وحى أولياء الشيطان (اليهود) واتبعوا هذا الاسلوب حتى ينفض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه تحت وطأة الضيق والجوع .. وهى خطة ذليلة خسيسة اتبعتها قريش وهى تقاطع بنى هاشم فى الشعب ويتبعها الشيوعيون اليوم فى حرمان المتدينين فى بلادهم من بطاقات التموين ليموتوا جوعا أو يكفروا بالله ويتركوا الصلاة .. وهى خطة كل من يحاربون الدعوة الى الله « ذلك أنهم لخسة مشاعرهم يحسبون لقمة العيش هى كل شيء فى الحياة كما هى فى حسهم . فيحاربون المؤمنين »(١٤) ، ولكن المنافقين — وكل أعداء الدعوة — ينسون حقيقة بسيطة يذكرهم بها القرآن الكريم فيقول « ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لا يفقهون »(١٥) .

دور المنافقين فى المعارك الاسلامية

فى معركة بدر :

للمنافقين دور خطير فى المعارك الاسلامية تتراوح بين التخلف عن الجهاد وتخذيل المسلمين عن الخروج وبث الفتنة بينهم ونشر الاراجيف الكاذبة والدعايات المسمومة والشماتة من النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

وقد بدأت أعمالهم التخريبية بعد (غزوة بدر الكبرى) حينما علموا بانتصار المسلمين فتحركت فى نفوسهم كوامن الحقد والحسد والبغضاء ، واخذوا ينشرون الاراجيف قبل مقدم الجيش الاسلامى الى المدينة فقال احدهم : قد تفرق اصحابكم تفرقا لا يجتمعون معه ابدا . قد قتل محمد وغالب اصحابه . وهذه ناقته عليها زيد بن حارثه لا يدرى ما يقول من الرعب .

وكان زيد بن حارثه قد أرسل من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم على ناقته ليبشر اهل المدينة بالنصر فلما سمع اسامة مقالة ذلك المنافق ذهب الى والده ليسأله .. فلما تبين له الحق جاء الى المنافق وفضح أمره وقال : انت المرجف برسول الله . لنقدمنك الى رسول الله اذا قدم فليضربن عنقك . وهكذا انطلقوا فى معظم معارك الاسلام يثبطون الهمم وينشرون الاكاذيب ويسعون بالفتنة « الا فى الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين » وسنرى مما أمثلة لأدوار المنافقين فى كثير من المعارك .. بادئين بغزوة أحد .

فى أحد :

كانت هذه الموقعة من أولى المواقع التى كشفت عن المنافقين وفضحت كثيرا من مكائدهم ونواياهم التآمرية . ولقد وضع المنافقون فى هذه الغزوة خطة غادرة لاحداث الفشل والارتباك فى صفوف المسلمين ويمكن تلخيص ذلك فيما يلى :

● أيد عبد الله بن أبى بن سلول الرأى القائل بأن يكون الدفاع عن المدينة من داخلها وأن يلتزم المسلمون دورهم ليحاربوا الاعداء المغيرين فى السكك ومن فوق البيوت والصياصى .. والظاهر أن المنافقين واليهود قد رأوا الفرصة سانحة للقضاء على المسلمين فراوا أن يندسوا بينهم فيكونوا بمثابة (الطابور الخامس) للمشركين فيحدثوا البلبلة والفتنة والكيد الغادر فى صفوف المسلمين .

● وعندما فشل ابن أبى .. حيث صدرت أوامر الرسول صلى الله عليه وسلم بالخروج لملاقاة المشركين خارج المدينة انتقل الى دور ثان من خطته فاذا بستمئة يهودى يجتمعون بسلاحهم تحت امرته ومعهم ثلاثمئة من اتباعه وارادوا الانضمام الى المسلمين ولكن الرسول رفض اشتراك اليهود فى الجيش ليأمن من اجتماع تيارات متناقضة فى الجيش الاسلامى وليحقق الوحدة فى القيادة .. ويحتفظ بالروح المعنوية لدى المسلمين .. ولئلا يستعين بكفار لمحاربة كفار مثلهم .. وكان ذلك مفاجأة غير متوقعة لابن أبى .. ومع ذلك فقد خرج ابن أبى بكتيبة المنافقين فقط .. وادلجوا مع المسلمين الى (الشوط) قريبا من (أحد) حتى حانت صلاة الفجر .. وعند ذلك انخذل ابن أبى بتلك البقية .. وكر راجعا الى المدينة .. !!

● واثناء رجوع المنافقين من احد اراد ابن أبى أن يحدث فتنة فى الصف المسلم فقال — تخذيلا وتفريقا — : ما ندرى علام نقتل انفسنا ارجعوا أيها الناس .. ! وكادت الفتنة أن تشتعل فعلا وذلك أن طائفتين من

الانصار وهم (بنو حارثه من الأوس. وبنو سلمه من الخزرج) هموا بالانصراف وكانوا جناحى المعسكر ثم عصمهما الله وظلوا فى الجيش فذلك قوله تعالى : « اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا . والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون »(١٦) .

● وبقى بعض المنافقين فى الجيش واستمروا معه فى القتال وكان بعضهم يطلق سهام القيل والقال والارجاف بالمفتريات « وطائفة قد اهمتهم انفسهم . يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية . يقولون هل لنا من الامر من شىء . قل ان الامر كله لله يخفون فى انفسهم ما لا يبدون لك . يقولون : لو كان لنا من الامر شىء ما قتلنا ههنا .. » (١٧) .

وقد ارجف بعض المشركين بان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل . فهب بعض المنافقين يقول : لو كان نبيا ما قتل فارجعوا الى دينكم. ولكن تلك الاراجيف والمفتريات لم تزد المسلمين الا صمودا وتصميما على القتال وقالوا : ما تصنعون بالحياة بعده .. (يقصدون الرسول صلى الله عليه وسلم) : قوموا فموتوا .. على ما مات عليه .

● وعندما رجع المسلمون من الغزوة شمت المنافقون واليهود ايما شماتة بما اصاب المسلمين لكثرة القتلى ولقتل حمزة بن عبد المطلب .. رضى الله عنه .. ثم شمتوا اكثر من ذلك لما أصاب الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه من الأذى والجراح .. وصاروا يقولون : ما محمد الا طالب ملك . ما أصيب هكذا قط .. وجعلوا يخذلون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ويقولون : لو كان من قتل منكم عندنا ما قتل !!

تلك هى الخطوط العريضة للدور الهدام والموقف التخريبى الذى وقفه المنافقون فى معركة احد(١٨) .

فى غزوة بنى النضير :

كانت هذه الغزوة فى السنة الرابعة من الهجرة . وقد كان سببها غدر بنى النضير — وهم من اليهود — برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حينما دبروا أمرا لاغتياله صلى الله عليه وسلم ومن معه فى محلتهم وقد انتدبوا لهذه المهمة(عمرو ابن حجاش بن كعب) ولكن الله الهم رسوله ما يبيت يهود من غدر .. فقام كأنما يقضى أمرا ثم دخل المدينة وأمر المسلمين بالتهيؤ للحرب لظهور الخيانة من بنى النضير وكان قد سبق هذا اقذاع كعب بن الاشرف — من النضير — فى هجاء رسول الله وتأليبه الاعداء عليه فاذن رسول الله لمحمد ابن مسلمة فى قتل ابن الاشرف فقتله .. وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم محلة بنى النضير وامهلهم ثلاثة أيام وقيل عشرة ، ليفارقوا جواره ويجلوا عن المحلة على أن يأخذوا اموالهم ويقيموا وكلاء عنهم على بساتينهم ومزارعهم ..

.. ولكن المنافقين ارسلوا رهطا منهم الى بنى النضير فقالوا لهم : أثبتوا وتمنعوا فإنا لن نسلمكم ان

قوتلتم قاتلنا معكم وان اخرجتم خرجنا معكم .. وهكذا نرى المنافقين يخونون المسلمين وينضمون الى اعدائهم ولكن الله يبطل كيدهم ويفضح امرهم اذ لما بلغ الحصار ستا وعشرين ليلة يئس اليهود من صدق وعد المنافقين لهم وعلموا انهم « لئن اخرجوا لا يخـــــرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم . ولئن نصروهم ليـولن الأدبار ثم لا ينصرون » (١٩) وعنـــد ذلك طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يجليهم ويكف عن دمائهم كما سبق جلاء بنى قينقاع فأجابهـــــم الرسول صلى الله عليه وســـلم فاحتملوا من أموالهم ما استطاعوا . وكان الرجل منهم يهدم بيته فيحمله على بعيره او يخربه حتى لا يقـــع فى أيدى المسلمين . وكان المسلمون قد هدموا أو خربوا بعض الجدران التى اتخذت حصونا فى أيام الحصار .. ويكشف القرآن الكريم عن طبيعة المنافقين فيقول « لأنتم اشد رهبة فى صدورهم من الله . ذلك بأنهم قوم لا يفقهون . لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة أو من وراء جـــدر . بأسهم بينهم شديد .. »(٢٠) ويضرب الله للمنافقين الذين أغروا اخوانهم بالثبات ثم تخلوا عنهم مثلا بحـــال الشيطان مع الانسان يستجيب لاغرائه فينتهى واياه الى شر مصير فيقــول تعالى : « كمثل الشيطان اذ قـــال للانسان : اكفر ـــ فلما كفر قال : انى برىء منك انى اخاف الله رب العالمين . فكان عاقبتهما انهما فى النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين »(٢١)

———

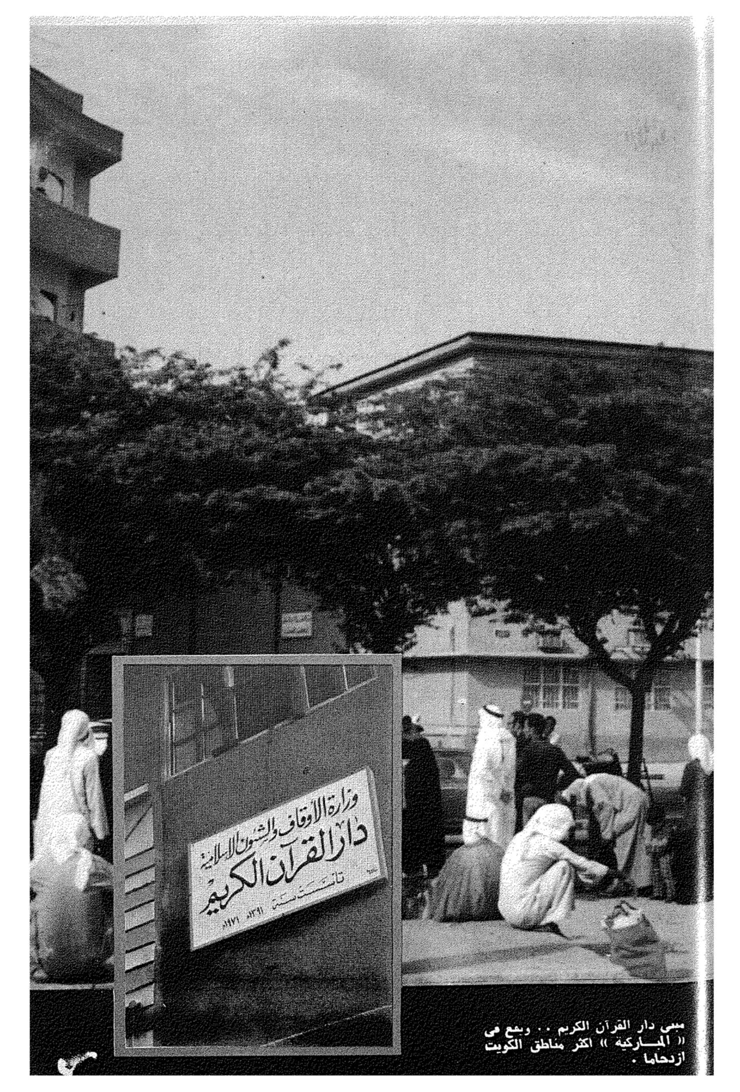
(١) البقرة ٩ .
(٢) النساء ١٤٢ .
(٣) النساء ٨١ .
(٤) النساء ١٠٧ .
(٥) النفاق والمنافقون ٣٩٩ و ٤٠٠ .
(٦) كانت للمنافقين ادوار خبيثة فى المعارك الاسلامية كما سيأتى . وراجع تذكرة الدعاة ٢٦٧ و ٢٦٨ .
(٧) التوبة ١٢٤ .
(٨) التوبة ٦١ .
(٩) تذكرة الدعاة ٢٦٩ .
(١٠) النفاق والمنافقون ٣٠٦ و ٣٠٧ .
(١١) التوبة ٥٠ .
(١٢) آل عمران ١٢٠ .
(١٣) المنافقون ٧ .
(١٤) فى ظـلال القرآن م ٨ ج ١١٤/٢٨ و ١١٥ .
(١٥) المنافقون ٧ .
(١٦) آل عمران ١٢٢ .
(١٧) آل عمران ١٥٤ .
(١٨) ملخص من كتاب النفاق والمنافقون ١٢٨ ـــ ١٤٢ .
(١٩) الحشر ١٢ .
(٢٠) الحشر ١٣ .
(٢١) الحشر ١٦ و ١٧ .

دار القرآن الكريم

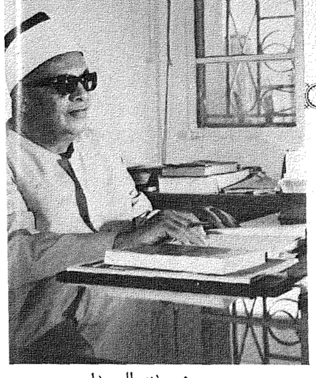
- أعداد تربو على الألف تنتظم في دار القرآن الكريم .
- مختلف الجنسيات تتوافد على الدار لحفظ كتاب الله .
- مستشارون وقضاة وضباط وجنود وعمال جنباً إلى جنب .

اعداد : عبد الستار محمد فيض
تصوير : مجلة الوعى الاسلامى

من المشروعات التى أنجزتها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بدولة الكويت مشروع دار القرآن الكريم ونظرا لأهمية هذا المشروع الجليل والذى يعتبر فريدا فى نظامه ومنهجه رأينا أن نعطى للقارىء الكريم فكرة توضح مدى اهتمام الوزارة بتحفيظ القرآن الكريم وتمكين الدارسين من جودة ترتيله وفهم آياته بصورة تربط المسلم بخير كتاب وخير منهج .



مبنى دار القرآن الكريم .. ويقع في « المباركية » اكثر مناطق الكويت ازدحاما .



مـــدير الـــدار

وقد برزت فكرة هذه الدار الى الوجود منذ ثلاث سنوات .

وجولة قصيرة فى رحاب هـــذه الدار التى تثير احساساتك بالرهبة والخشوع تنبئك بأنها أول دار من نوعها فى الخليـــج والجزيــرة العربية .

لهذا كان لقاؤنا هذا العدد فـــى دار القرآن الكريم ، ومبناها يقع فى أول شارع فلسطين بمنطقـــة سوق المباركية بالقرب مـــن وزارة الدفاع .

مع مدير الدار :

والتقيت هناك بفضيلة الشيخ حسن مراد مناع المستشار الثقافى للوزارة والذى عهد اليه بأن يكون أيضا مديرا للدار ، وبعـــد لقـــائى به طلبت منه أن يعـــرف القـــارىء بالغرض من انشـــاء دار القـــرآن الكريم وما هى الدوافع التى جعلت الوزارة تولى هـــذا المشــروع الاهتمام البالغ ؟

وأجاب فضيلته قائلا :

مما لا شك فيه أن حفظ القـــرآن الكريم امنية تتردد أصداؤها فى كـــل نفس مسلمة لتسعد به لسانها، وتمتع به قلبها ، وتقوى عقيدتها حين تقوم به انحراف افكارها ، وتقيم به الحجة الساطعة والبرهان القوى .

وما دام القـــرآن الكريم ــ وهو هدية الله الى خلقه ــ قد أنقذ البشرية من ضلال، وهداها من حيرة ، وتحول به الفرد المسلم من مخلوق لا وزن له الى انسان له رسالة وغاية ، وصار به المجتمع المسلم يحس بالرحمة بعـــد القسوة ، وبالهـــدى بعد الضلال ، وبالأمن بعد الخوف ، وبالعلم بعـــد الجهل ، لأنه عاش فى ظلال منهج نظم له افكاره ومفاهيمه ، ووضع له نظمه

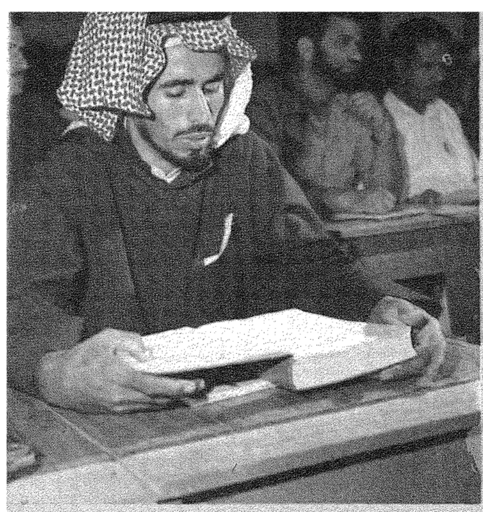
وقوانينه وصدق الله تعالى اذ يقول **(قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الـى النور بإذنه ويهديهـــم الـى صراط مستقيم) .**

ما دامت هذه رسالة القرآن الكريم فالمسلمون أصبحوا في أمس الحاجة اليه لمواجهة كل دعوة ضالة ومذهب غوى آثم ، والوقوف بكل قــوة أمـام موجات الاباحية والتحلل والالحــاد ، ونظرا لعدم وجود مكاتب أو مراكـز أو مدارس متخصصة لتحفيظ القرآن الكريم رأى المسئولون فـى وزارة الأوقاف والشئون الاسـلامية أن ينشئوا هذه الدار ليمكنوا جمهـور المسلمين الراغب فى حفظ القـرآن ومعرفة ترتيله وفهم آياته .

وقد دفعهــم الى انشائها الشعور بالمسئولية تجاه كتاب الله الكريـــم

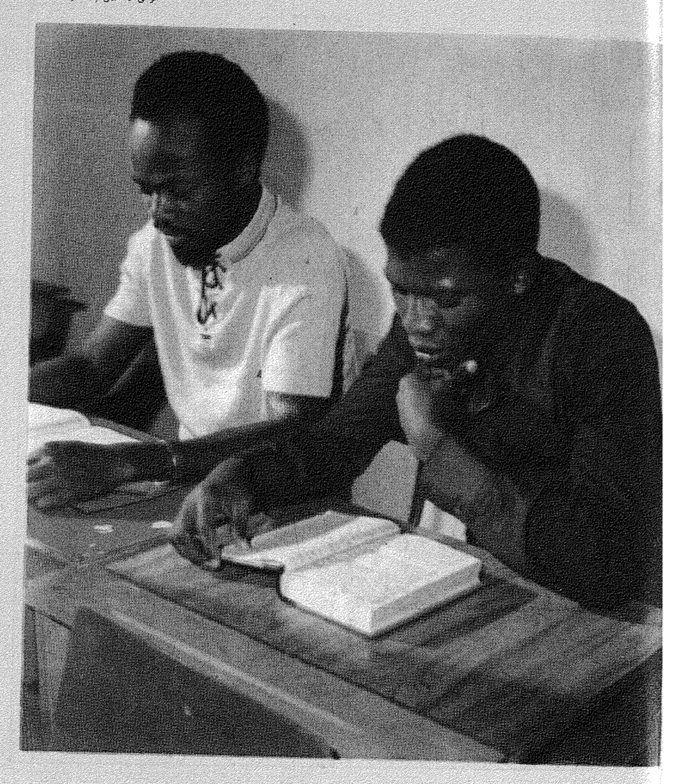


الأستاذ عبد الرحمن المجحم وكيـل الوزارة والأسـتاذ عبد الرحمن الفارس الوكيل المسـاعد فى جولة تفقدية لـدار القرآن الكريم حيث تحظى الدار دائما بالاشراف المباشر مـن قبل المسئولين بالوزارة .



من بادية
الكويت

من ماليزيا



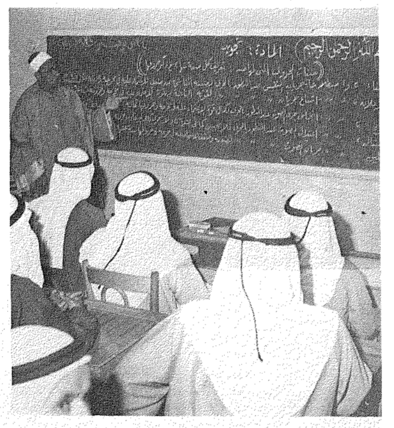
ومن أفريقيا

اكثر من جنسية مختلفة تجمعهم دار القرآن الكريم تحت سقف واحد يرتلون آيات الله ويتعلمون احكام قرآنه ويتفهمون تفسيره ولغته ..

والمحافظة عليه وخاصة بعد ان استطاع الاستعمار بشتى الوسائل ان يباعد بين المسلمين وبين القرآن الكريم الى حد ما ، وليس تحفيظ القرآن مستحدثا فى الكويت بل كان التعليم فيه الى عهد قريب قاصرا على تحفيظ القرآن وتدريس علومه .

وحينما انصرف الكثير من الناس عن هذا النوع من التعليم مسايرة للدراسات المدنية قل حفاظ القرآن الكريم ، وأوشكت الدراسة القرآنية ان تختفى من حياة الأمة ، لهذا كله انشئت دار القرآن الكريم كما تراها الآن .

امام هذا الاقبال المتزايد على الدار نحب أن نعرف بعضا من أهدافها وتاريخ نشاتها .



درس فى التجويد

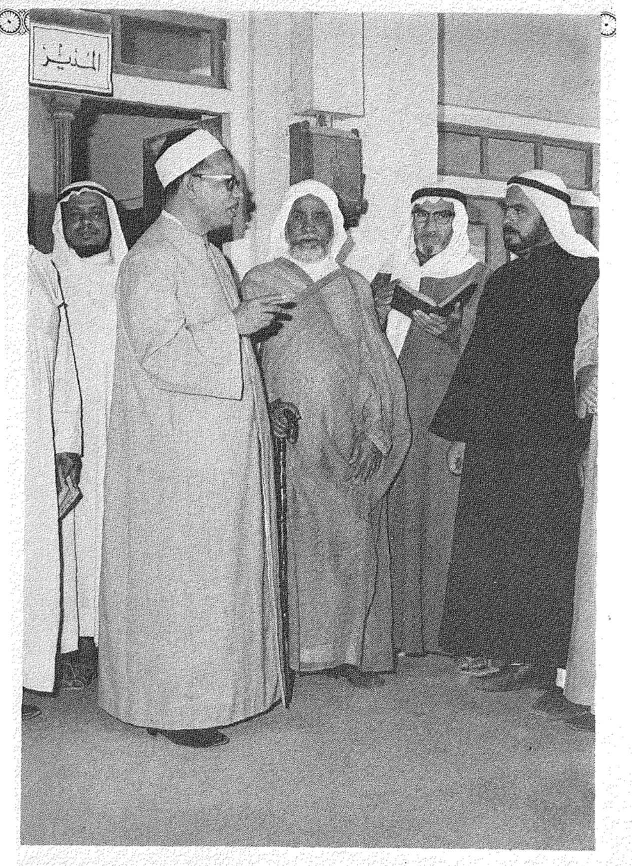
قال فضيلته :

صدر القرار بانشائها واعلن عنه فى الصحف والاذاعة والتلفاز فى يوم ذكرى المولد النبوى الشريف عام ١٣٩١ هـ وبدأت الدراسة فعلا يوم السبت الموافق ١٢ من شعبان فى نفس العام المذكور .

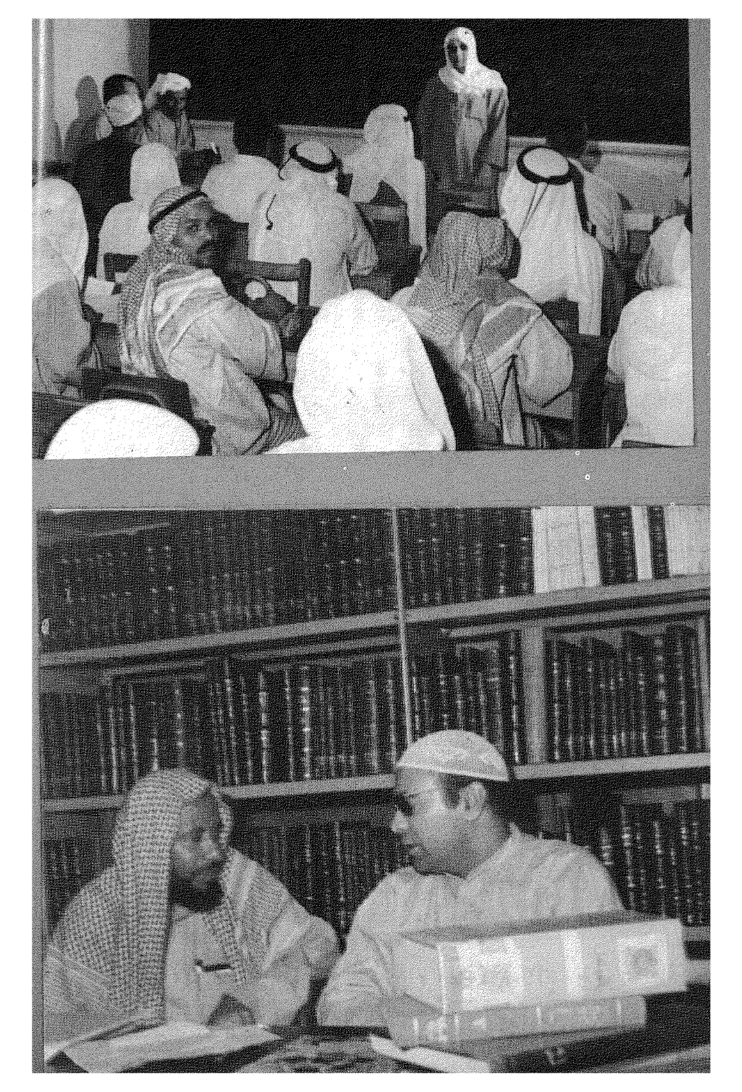
اما ما يهدف اليه هذا المشروع فيتلخص فى تمكين الجيل الذى حفظ القرآن الكريم من جودة الترتيل وتفهم الآيات باعطاء الحفظة قدرا من التفسير يستطيعون به تذوق المعنى ومعرفة الحكم بالاضافة الى منح الفرصة لكل راغب فى الحفظ ان يحقق غايته ، وبهذا ترتوى النفوس المتعطشة الى كتاب الله حين تنهل من فيضه ، وخاصة من فاتتهم فرصة الحفظ فى الصغر ، وبهذا ايضا يعيش الدارسون فى جو اقرانهم بلا فوارق من سن أو جنسية .

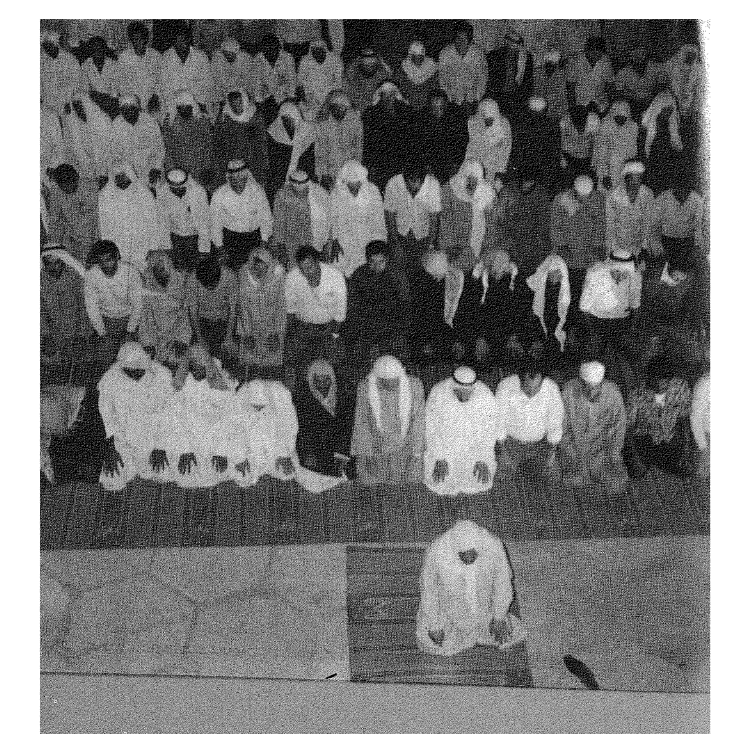
هل لنا أن ناخذ فكرة عن النظام الدراسى ونوعية الدارسين فى الدار ؟

نعم . قبل بدء الدراسة أعددنا لهذا المشروع لائحة ووضعنا منهجا خاصا وخطة للدراسة . بحيث تنحصر مواد الدراسة فى كل ما يتصل بالقرآن الكريم حفظا وترتيلا وتفسيرا ، كما



ناظر دار القرآن الكريم وسط طلابه موجها ومرشدا





أعلى اليمين :

فصل من فصول دار القرآن الكريم

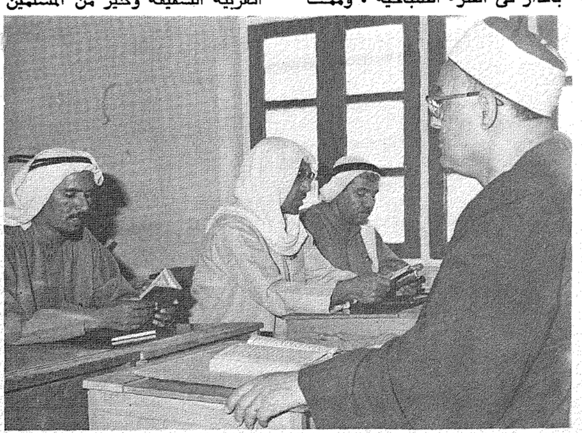
نسقت حصص دار القرآن الكريم بحيث لا تتعارض مع اوقات الصلاة وحين يحين وقت الصــــلاة فان اساتذة المعهد وطلابه يؤدونهـــا جماعة .

هيات وزارة الأوقاف والشئون الاســلامية مكتبة زاخرة لتكون مرجعا لأبناء الدار .

اشرنا الى ذلك من قبل ، وتبدأ مرحلة الدراسة بالصف الأول ، وتنتهى بالصف السادس ، وتقرر على كل صف حفظ خمسة أجزاء من القرآن مع تفسيرها ، وفى نهاية الصف السادس يكون الطالب قد حفظ القرآن الكريم كله وأتقن ترتيله ، واستوعب تفسير آياته ، ويعقد امتحان لكل صف آخر العام من دورين ، والدراسة تسير على فترتين يوميا : إحداهما صباحية وهى للأئمة والمؤذنين لأن ذلك وقت فراغهم ، والأخرى مسائية وهى لموظفى الدولة ، ولمن عندهم عمل صباحى لا يمكنهم من الالتحاق بالدار فى الفترة الصباحية ، ومما يذكر أن بعض القضاة والمستشارين وضباط الجيش وجنوده وكثيرا من مدرسى المدارس الثانوية والمتوسطة ينتظمون فى الدراسة المسائية بصورة مشجعة ومشرفة .

شروط الانتساب الى الدار .

والانتساب الى الدار لا يشترط فيه الا جودة القراءة والكتابة مع اعفاء المكفوفين من هذا الشرط طبعا ، ولا تشترط سن او جنسية أو ثقافة معينة الأمر الذى أوجد المجال امام الجميع فالتحق بالدار طلاب من جميع الدول العربية الشقيقة وكثير من المسلمين



احد اساتذة دار القرآن يتابع قراءات طلابه .



هيئة التدريس اثناء توجههم الى فصولهم .

من دول أخرى المقيمين فى الكويت فلا يخلو صف أو فصل من ابناء الباكستان أو ماليزيا أو نيجيريا أو الفلبين واصبحت الدار تعج حجراتها بأكثر من الف طالب من كافة الاقطار العربية والاسلامية ، وتقوم بدور تربوى إسلامى تفتقر اليه كثير من بلادنا العربية والاسلامية .

وعمر الدار أربع سنوات دراسية الآن .. ففى هذا العام افتتح الصف الرابع .. ونرجو للدار العمر المديد.

هيئة التدريس :

يقوم بالتدريس فى الفترتين أساتذة منتدبون من معهد القراءات بالأزهر الشريف يدرسون التجويد وأحكامه

درس فى الحديث



اعجمي وعربي يرتلون قـــرآنا
واحدا .. بلغة واحدة .. بينما
ينصت لهم الأستاذ .

والفوا لكل صف كتابا مقررا فى مادة التجويد يسمى (الفريد فى فن التجويد) اما التفسير والنحو فيقوم بتدريسهما العلماء الوعاظ بالوزارة ، وكلهم من الأزهر ايضا واحد الزملاء وهو الشيخ مصطفى عيد هو ناظر الدار ، وهو منتدب من جهاز التفتيش بالأزهر وله بالشئون الادارية سابق عهد .

دور الوزارة :

هذا وتقوم الوزارة بتوزيع المصاحف وكتب التفسير والنحو والتجويد على الطلاب بالمجان كما تمنح الطلاب مكافأة مالية بمقدار أيام الحضور شهريا .

ونظرا لأن المكتبة العامة للوزارة فى مبنى ملاصق للدار فالطلاب يستغلون أوقات فراغهم فى المطالعة تحت اشراف بعض الاساتذة وأمين المكتبة .

زوار الدار :

ومما هو جدير بالذكر أن هذا المشروع نال إعجاب كل من زار الدار من كبار المسئولين الذين وفدوا الى الكويت .

كما تشرفت الدار بزيارة السادة وزراء الأوقاف فى كل من جمهورية مصر العربية والمملكة العربية السعودية والجمهورية العربية السورية والسودان ، وبزيارة وفود اسلامية من المغرب والجزائر والصومال وجزر القمر ونيجيريا .

وسجلوا إعجابهم بالنظام الدراسى اثناء زيارتهم للفصول ، وطلب الكثير منهم صورا من مشروع اللائحة المعمول بها .

فروع للدار :

ونظرا للاقبال المتزايد على الدار تفكر الوزارة فى انشاء فروع لها فى اطراف المدينة وجميع الضواحى تلبية للرغبات الملحة وحتى يعلو صوت القرآن الكريم فى كل مكان .

دار خاصة للنساء :

هذا ويدور فى الوقت الحالى تفكير فى انشاء دار خاصة لتحفيظ الراغبات من النساء ، وبذلك تستعيد المرأة سيرتها الأولى فتحفظ كتاب الله وتعيش فى جوه كما كان الأمر فى صدر الاسلام ، والمجتمع المعاصر من غير شك فى حاجة الى نوعية هذه المرأة التى تهتدى بهدى القرآن وتنشىء الأجيال على خلق القرآن .

وبعد فبحمد الله وتوفيقه نجح المشروع نجاحا فاق التصور يوم بدىء فيه وذلك من فضل الله علينا وعلى الناس .

مائدة القارئ

شكوى الى الله

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما لحقه من اذى اهل الطائف ، وقد جاء يدعوهم الى ماهو خير ، قال داعيا ربه :

(اللهم إليك اشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربى ، الى من تكلنى ؟ الى بعيد يتجهمنى ؟ أم الى عدو ملكته أمرى ؟ إن لم يكن بك على غضب فلا أبالى ، ولكن عافيتك هى اوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى اشرقت له الظلمات ، وصلح عليه امر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك ، او يحل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك) .

الركب المهاجر

كانوا اربعة خرجوا معا من مكة الى المدينة :

رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وابو بكر الصديق رضى الله عنه .

وعامر بن فهيرة مولى ابى بكر .

وعبد الله بن ارقط دليلهما .

مع الله

أوى النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر الى غار ثور .. وهما فى طريقهما الى يثرب وكان المشركون فى أثرهما .. ووقفوا على الغار . فقال أبو بكر فى جزع شديد .. لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا . فقال النبى صلى الله عليه وسلم قولته الخالدة : (ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما ؟ يا أبا بكر لا تحزن إن الله معنا) .

قال تعالى :

(الا تنصروه فقد نصره الله إذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما فـي الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة اللـــه هى العليـــا والله عزيز حكيـــم) ..

ـــ قرآن كريم ـــ

النشيد الخالد

عند ما أشرف الرسول صلى الله عليه وسلم على المدينة ، اخـــــذ اهلها ينشدون : ـــ

طلع البـــــدر علينـــــا	من ثنيـــــــات الوداع
وجب الشـــــكر علينـــا	ما دعـــــا لله داع
أيهـــا المبعوث فينـــــا	جئت بالأمر المطـــــاع
جئت شرفت المدينـــــــة	مرحبـــــا يا خـــير داع

الدنيـــــا

وقف الإمام على كرم الله وجهه فى محرابه خاشعا متضرعا وهـــو يقـــــول :

(يا دنيا اليك عنى ، غرى غيرى ، الى تعرضت ، ام الى تشـــوقت ؟ هيهات ، قد باينتك ثلاثا لا رجعة لى عليك ، فعمرك قصير ، وخطــــرك حقير ، وخطبك يسير ، آه من قلة الزاد وبعد السفر ، ووحشة الطريق) .

شجاعة اسماء

كانت تاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ووالدها ابا بكر بالطعام والماء وهما فى غار ثور .. وكانت تحتمل فى سبيل ذلك الشىء الكثير .. فقد اتاها مرة نفر من قريش فيهم ابو جهل بن هشام . فقالوا : اين ابوك يا بنت ابى بكر ؟ فقالت : لا ادرى والله اين ابى ؟

قالت : فرفع ابوجهل يده ، وكلن فاحشا خبيثا ، فلطم خدى لطمـــة طرح منها قرطى .



الهجرة بطولة وعزم وإيمان

للاستاذ / عبد الله الكبير

احتلك الظلام قبل بعثة النبى الكريم — صلى الله عليه وسلم — وأصابت الكون موجة من الشر والفساد ، فطمست معالم الأديان ، ونبذت الشرائع ، وماتت الأخلاق الفاضلة ، وأصبح الناس فوضى تقودهم الشهوات ، وتسيطر عليهم غرائز الشر ، فقد كانت الدنيا تعنو لتاجين ، وتخضع لدولتين ، هما دولة الفرس ودولة الروم ..

وقد بلغت هاتان الدولتان قمة عزهما وأمد مجدهما فى تلاوة من الدهر طويلة ، ثم امتد بهما الزمان ، ونشأت فيهما أجيال تنعم فى أكناف الرفاهية والنعيم ، رأوا الدنيا تحت اقدامهم ، وثمرات العالم تجنى إليهم فانصرفوا الى الراحة ، وناموا فى ظل ظليل من الامن والثقة ، وافتنوا فى صنوف اللهو الفاجر والعبث الأثيم ، وقذفوا بكل ما بقى فى نفوسهم من شهامة ورجولة وخلق رصين ، ليهيموا فى تيهاء الآثام والمجون الجنونى ، لا يردعهم عقل ، ولا يكفكف من عنانهم دين ، فاضطربت الموازين ، وانقلبت الاوضاع ، واصبحت الرذيلة من دلائل النبل وكرم المنبت ، وامست الفضيلة عارا تنفر منه النفوس ، وسخرية تتنادر بها المحافل ..

هكذا كانت الدنيا قبل مبعث النبى الكريم ، عليه صلوات الله وسلامه ورضوانه . أما بلاد العرب فكانت وكرا للوثنية الجاهلية الغبية ، أرخى أهلها على عقولهم النافذة الوقادة غشاوة من التعصب والجمود ، فعكفوا على أوثان لهم صنعوها بأيديهم ، ثم زعموا أنها تنفعهم وتضرهم ، وان لها التصرف المطلق فى هذا الوجود .. ولقد كانت هذه الوثنية قبرا لعقولهم ، وقضاء على مواهبهم ، وتقريبا لوحدتهم ، فكانوا جميعا وقلوبهم شتى : شقاق ونزاع بين القبائل ، وإدراك كاذب لمعنى الاباء والبطولة ، ونخوة فيها جموح وجهل ، وفهم سقيم لمعني الشرف ورعاية الذمام ، ووحشية يلتهم فيها القوى الضعيف ، وكبر وجبرية لايلينان لحق ، ولا يخضعان لحاكم ، وحرية مقيدة مغلولة لا تنال إلا بالاحتكام الى السيوف ، وتفاخر أجوف بالألقاب والأنساب .. جهل وظلم وظلام !

حقا لقد فسد الكون كله ، وضلت الإنسانية سبيلها ، وسقطت البشرية فى هوة عميقة الغور ، بعيدة المرتقى .. وتطلعت الأرض الى السماء تلتمس منها الهداية والنور .. وإن الله لأرحم من أن يترك الناس هكذا هملا ، وأكرم من أن يدع العقل الإنسانى هكذا مرتكسا بين رذيلة موبقة وجهل محيق . فشاء — جلت حكمته — أن يبعث للناس كافة — فى وسط هذا الظلام الحالك — رسولا اجتباه من صفوة خلقه ، فبعث إليهم رسولا منهم ، قد اصطفاه لنفسه ، وكمله بأكرم الصفات ، وحلاه بمكارم الأخلاق ، هو محمد بن عبد الله ، عليه افضل الصلاة والسلام .

وقد اختار الله رسوله من جزيرة العرب ، لأنها مقر بيته العتيق ، ولأن العرب — على ما فيهم من جفوة وخشونة — كانوا أمة ابية ، موفورة الذكاء ، متأججة العاطفة ، سلمت بداوتها من مآثم المدنية ، فلم تضعف الشهوات رجولتها ، ولم تعبث رفاهية النعيم بغرائزها ، ولأنهم كانوا أمة إذا اقتنعت بحق ، أو اطمأنت نفوسها الى رأى ، قذفت بأرواحها رخيصة فى نصرته ، واستعذبت العذاب فى سبيله ..

بعث الله تعالى فى العرب محمدا الأمين ، فاستطاع — بهذه الأمة الصغيرة المفككة ، بعد أن وحد كلمتها الايمان النقى — ان يثل عرش القياصرة ، ويحطم تاج الاكاسرة ، وينشر كلمة التوحيد فى العالم .

وامة العرب لم تخضع فى حياتها لذل الاستعمار .. أحاطت بها من جانبها امبراطورية الرومان ودولة الفرس — وهما أعظم دول العالم ايامئذ واقواها — وبذلت كل دولة

منهما جهدا جاهدا ، لتبسط ظل سيطرتها على الجزيرة العربية ، لكن العرب كانوا أصلب عودا ، واشد مكسرا ، وأحمى أنوفا ، فلم ينهزموا أمام غاز فاتح ، ولم تلن قناتهم لطاغية جبار ، كيفما كان صوله وطوله .. فهذه الأمة العزيزة بأنفتها ، القوية بأخلاقها ، كانت أولى الأمم بأن يكون رسول الله منها ، وأن ينشأ عزيزا بين أعزاء ، حتى يستطيع أن يبعث من حرية الصحراء الى العالم كله حرية طليقة ، تضع عنه إصره والأغلال ..

نشأ محمد النبى الأمى الكريم — صلى الله عليه وسلم — فى أرفع بيت ، واشرف قبيلة . وكان فى حداثته يمتاز بصدق التفكير وقوة الحجة ، وبلاغة البيان ، وسداد الراى وطهارة النزعة .

وإن من يعده الله سبحانه لرسالته العظمى ، ودعوته الكبرى ، خليق بأن تظهر فيه مخايل النبوة ، وأن يمتاز عن الناس جميعا ، بما أودع الله فيه من قوى كامنة ، وبما أمده الله تعالى من سجايا وشيم . وقد رأت قريش فيه هذا كله ، وتكهن عقلاؤها بما سيكون له من شأن وخطر ، (الله أعلم حيث يجعل رسالته) .

كان بشرا منهم ، لكنه كان روحا قدسيا يمشى على الارض ، وسرا سماويا يخالط الناس كأنه مثلهم ..

وقد شاء الله عز شأنه أن ينشأ نبيه المرجي يتيما ، وأن تدفعه الحياة الى طلب الرزق ، وأن يلاقى من أحداث الأيام وعنتها ما يلاقى الناس من خير وشر ، فما كاد يبلغ العشرين حتى اتخذ التجارة سبيلا لكسب العيش ، فطلب الحياة من أسباب الحياة ، وفي هذا بلاغ للناس ، وحكمة بالغة لأولى الألباب ..

فليت شعرى ! هل علم قياصرة الروم ، وأكاسرة الفرس ، ومفكرو الأمم جميعا أن هناك فى زاوية محجوبة من جزيرة العرب سيفا بتارا يريد أن يستل من غمده ، ليهزم الشرك ويقضى على الطغيان ؟ وهل خطر لهم — وهم فى غمرات شهواتهم وآثامهم — أن كوكبا سماويا من الحق وصدق العزيمة سينقض من حيث لا يتوقعون ، فيبدد شملهم ، ويفرق سمارهم ؟ وهل كانوا يستطيعون اذا أنعموا أبصارهم أن يروا ذلك النور المنبثق الذى أشعلته يد القدرة الالهية ليملأ الارض نورا ، ويغمر النفوس هديا وإيمانا ؟

نشأ النبى الكريم — صلى الله عليه وسلم — نشأة روحية ، فيها زهد ، وفيها تبتل ، وفيها عزوف عن كل ما يشين . وكان — صلوات الله عليه — يقضى فى كل عام زمنا متحنثا فى غار حراء ، منصرفا إلى التوجه الى خالقه ، والتفكير فى دلائل قدرته . صمته عبادة ، ونطقه تقديس وتسبيح ، ونظراته ايمان واعتبار ..

وفى احدى هذه المرات التى كان يتحنث فيها بغار حراء هبط عليه جبريل — عليه السلام — بالوحى الكريم ، فأصابته رجفة ، وغشيه من هول الأمر ما غشيه ، وهاله ما هاله فما إن سمع صوت جبريل يهمس فى أذنه : « اقرأ » حتى صاح فى فزع : « ما أقرأ » ، فغطه جبريل وقال : « اقرأ » ، فقال ما أنا بقارىء . فغطه جبريل وقال : (اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم .

علم الانسان ما لم يعلم .) سورة العلق ، فكان هذا مبدأ رسالته ، واول صوت انطلق فى بطحاء مكة ، فهز العالم هزا ، وأطلق العقول من عقالها .

ولما نزل قوله تعالى : (وأنذر عشيرتك الأقربين) يأمره باعلان كلمة التوحيد ، أطاع الرسول أمر ربه ، فأرسل صوته قويا مجلجلا فى أنحاء مكة ، يدعو قومه الى الدين الحق ، ويبشر وينذر ، لا يهاب قوة ، ولا يخشى جبروتا ..

لقد كان العبء شاقا ، والجهاد مضنيا ، ولكن صبر الرسول لا يخور ، وعزم الرسالة لا يلين . فأخذيدعو القوم الى عبادة إله واحد ، لا إله إلا هو الحى القيوم ، والى نبذ آلهتهم وفيها مجدهم كما يزعمون .. لقد ظهر محمد يدعوهم الى دين جديد ، ويصرفهم عن عاداتهم التى امتدت فيهم جذورها ، ورسخت أصولها ، وجاء ينعى عليهم التفاخر بالانساب والألقاب ، وهى غذاء غرورهم ، وجاء يسوى بين الناس جميعهم ، وهم أحفل الناس بنظام الطبقات ثم جاء يشرع لحياتهم ومعاملاتهم بعد أن استمرعوا الفوضى واغتصاب الاموال .

لم يستجب لدعوة الرسول الكريم إلا فئة قليلة شرح الله صدورها للايمان ، ولكن الرسول أقام بمكة سنين مثابرا يصدع بأمر ربه ، ويعرض نفسه على القبائل ، حتى اشتد إيذاء المشركين ، وأذن الله لنبيه أن يهاجر الى المدينة ، فهاجر .

لقى الرسول — صلى الله عليه وسلم — كثيرا من إيذاء قريش ، وتعرض لكثير من أسباب الهلاك ، لكنه لم يهاجر الى المدينة لشىء من هذا ، فإن أولى العزم من الرسل لا يهابون الإيذاء ، ولا يرهبهم التهديد .

وإن من يظن أن النبى — صلوات الله عليه — قد هاجر بسبب إيذاء المشركين إياه إنما يقيس حياة الرسل الكرام بحياته ، ويحكم عليهم بهواجس نفسه . إن أولى العزم لا يخافون ، وإنهم لمعصومون من الناس ، ومن شر الناس ، وشر الوسواس الخناس . وإن الذى يقول لابنته فاطمة — رضى الله عنها — بعد أن غلبها البكاء لشدة ما يقاسى من قومه : « لا تبكى يا بنية فإن الله مانع أباك » ، وإن من يقول لصاحبه إذ هما فى الغار : أبا بكر ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما .. إن الذى يقول هذا وهذا لا يأبه لإرجاف ، ولا يبالى بوعيد .. إنما هاجر الرسول — عليه أزكى السلام . من مكة ، لأنه رأى ما ظهر له من غلظة قلوب أهلها وجفوتهم ، وقد كانت فيهم الرياسة والزعامة .. رأى أن عقولهم لم تنضج بعد لتفهم الدين الجديد ، وانه يجب أن يترك لهذه العقول الجامحة وقتا يراوحها فيه التفكير ويغاديها ، فلعل طول التأمل وتكرار النظرات يهدىء من شماسها ، ويفتح ما اغلق من أقفالها ..

هكذا رأى النبى الكريم أن يترك قريشا لأنفسها حينا من الدهر ، على أن يعاودها بالدعوة الى الإسلام بعد أن يكمل استعدادها ، ويتم نضجها ، وهكذا كان ، فان اعتزاز الدين الجديد إنما كان بفتح مكة حين جاء نصر الله والفتح ، ودخل الناس فى دين الله أفواجا . وقد كان أهل المدينة الين جانبا ، وأشف نفوسا ، وأجدر بالاسراع الى الدعوة ، لدماثة فى خلقهم ، ولأن بعضهم وفد عليه بمكة فآمن به وبايعه .. لكل هذا هاجر

رسول الله الى المدينة . والهجرة من أولها الى آخرها عمل كله بطولة وإقدام واستهانة بالصعاب . انها كانت تضحية بكل ما يملكه المسلم فى سبيل الانتصار على لذات النفس وشهواتها ، وفى سبيل الجهر بالحق الذى عرفه وآمن به ، وأحس السعادة تغمره بهذه المعرفة وهذا الايمان .

ان الهجرة النبوية كانت الحجر الأساسى فى إرساء قواعد الاسلام ، وانتصار دعوته ، ولهذا كانت جديرة بأن يتأملها طويلا كل مسلم ، وأن يفكر فيها ، ويستمد منها العبر والدروس، فهى ثورة على الضعف والكبت ، وانتفاضة على تحكم الباطل فى رقاب الحق .

وقبل هجرة النبى كان المسلمون قد أخذوا يهاجرون الى يثرب متفرقين ومع هذا فطنت قريش للأمر، وجعلت ترد من تستطيع رده ، وتعذبه ، وتنكل به ، بل كانت تحول بين المرء وزوجه ، اذا كانت المرأة من قريش .. وتتابعت هجرة المسلمين الى المدينة ، والنبى مقيم بمكة ، لا يعرف أحد ما عزم عليه : أيبقى حيث هو ؟ أم يهاجر الى يثرب كما هاجر أصحابه ..

كانت قريش تحسب لهجرة الرسول الى يثرب أيما حساب ، فقد كثر المسلمون هناك كثرة ، وكادوا يكونون أصحاب اليد العليا فيها ، فاذا لحق بهم النبى — وهم على ما يعرفون من جلد وثبات ، وحسن رأى ، وبعد نظر — فقد يهجم المسلمون على مكة ، وقد يقطعون على قريش طريق تجارتهم الى الشام ، فيجوعون ، كما حاولوا هم من قبل أن يجيعوا النبى وأهله ، حين أكرهوهم على لزوم شعب أبى طالب ثلاثين شهرا . وحار المشركون فيما يفعلون .. اذا حبسوا النبى بمكة ، ومنعوه الخروج منها ، فقد يدهمهم اليثربيون دفاعا عن نبيهم ، صلوات الله عليه .. وإذا نفوه وأخرجوه من مكة لحق بالمدينة ، وأصابهم ما يخافون من هجوم المسلمين عليهم .. واذا قتلوه طالب بنو هاشم وبنو المطلب بدمه ، وأوشكت الحرب الأهلية أن تعم مكة وغيرها من البلاد .. وإذا .. وإذا ..

وانتهى رأى المشركين الى أن يختاروا من كل قبيلة شبا جلدا ، ويعطوه سيفا صارما ، وأن يشترك شبان القبائل فى ضرب محمد ضربة رجل واحد ، فيتفرق دمه بين القبائل، ولا يقوى بنو هاشم على قتالهم جميعا فيرضون بالدية ، وتستريح قريش من هذا الذى سب آلهتهم ، وفرق شملهم ، وباتوا يحسبون — بعد تآمرهم هذا — أن أمر محمد قد انتهى وأن دعوته سيقضى عليها القضاء المبرم ، وأن المهاجرين سيعودون الى أهلهم ، والى دين آبائهم ، وأن قريشا ستعود اليها وحدتها التى تمزقت ، ولكن الله عز وجل ينزل على نبيه قوله تعالى : (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) الأنفال (٣٠) ويأذن الله لرسوله فى الهجرة ، فجعل — صلى الله عليه وسلم — يدبر لنفسه خطة الخروج من مكة ، والهجرة الى المدينة . وحرص على كتمان أمره حتى لا يتسرب الى قريش ..

وكان أبو بكر الصديق قد استأذن النبى فى الهجرة ، فاستمهله وقال له : « لا تعجل ، لعل الله يجعل لك صاحبا » ، فأدرك أبو بكر أن

الرسول على نية الهجرة ، وانـــه ينتظر الاذن له فيهـــا ، فاشـــترى راحلتين ، ودفعهما الى عبد الله بــن اريقط ، يعلفهما ويرعاهما . فلما أذن الله لرسوله فى الهجرة ذهب الـــى ابى بكر ، وأنبأه أن الله قد اذن لــه فى الهجرة ، واسر الى ابن عمه على ابن ابى طالب بعزمه ، وطلب منه أن يتخلف بعده بمكة ، حتى يؤدى مــا عنده من الودائع الى أصحابهـا ، وطلب منه أيضا أن يبيت فى فراشه ، ويتغطى ببرده الأخضر .

وفى ليلة الهجرة بات فتيان قريش يرصدون دار النبى ، ليقتلوه عنـد خروجه . فلما كان الثلث الاخير مــن الليل خرج صلوات الله عليه ، وأخذ حفنة من تراب ، ورماها فى وجوههم فلم يروه . فلمـــا تنفس الصبــح ، وانكشف الظلام ، قام النائم عـــن فراشه ، فاذا هو على بن أبى طالب ! .. جن جنون القوم ، وطار صوابهم ، واحاطوا بعلى ينهرونه ويتجاذبونــه ويسألونه عن محمد : اين ذهب ؟ وأين اختفى ؟ فيجيبهم على فى هدوء : لا أدرى ! .. فتفرق المشركون يبحثون عن محمد فى كل جهة ، ويجرون فى كل طريق ، ويسألون كل من يلقون ، ويتبعون آثار الاقدام ، حتى يئسوا من العثور عليه ، فجعلوا لمن يرشدهــم اليه مائة ناقة ..

وفى أثناء ذلك كان الرسول الكريم قد غادر مكة .. خرج مع صاحبــه الصديق فى جراة وعزم ، واتجها الى غار فى جبل ثــور ، جنوبى مكــة ، ومكثا بالغار أياما ، وفتيـــان قريش يقتفون اثرهما ، والسيوف تلمع فــى أيديهم ، والشر يصرح باسمــه فى وجوههم .. ووصـــل بعضهم الـــى الغار ، فراوا ما عليه الغار فأيقنـــوا أن أحدا لم يدخله منذ حين . وسمـع أبو بكر صوت المشركين يتحدثـــون ، فخاف على النبى ، فقـــال له النبى : (لا تحزن إن الله معنا) ، ونجى الله رسالته ، وأعمى المشركين عن نبيه ، وحماه من صولتهم ، وأتم نوره .

وكان عبد الله بن ابى بكر يقضـــى نهاره فى نوادى قريش يسمـع مـــا يأتمرون به ، وما يقولون فى شـــأن الرسول وصاحبه ، ثم يأتيهمـــا اذا أمسى ، فيخبرهما بما سمع وما رأى .. وكان يرعى بين رعيان أهل مكة ، فـــاذا أمسى أراح على المهــاجرين المظليمين غنم أبى بكر ، فيحتلبـــان ويذبحان ، ثم يعود عامر بالاغنام ، فيعفى آثار عبد الله ..

ومضت ثلاثة ليال ، والمهاجـــران مختبئان فى الغار ، ثم جاءهما عبــد الله بن اريقط ، ومعه البعيران اللذان اودعهما عنده ابو بكر ، وبعير ثالث له . وجاءت أسماء بنت أبى بــــكر تحمل الطعام للمهاجرين ، فلما ركبا لم تجــد ما تعلـــق به الطعام والماء فشقت نطاقهـــا ، وعلقت الطعـــام بنصفه ، وانتطقت بالنصف الآخر ، فسماها النبى صلى الله عليه وسلم « ذات النطاقين » ..

ثم سلك عبد الله بن اريقط بالنبى وصاحبه طريقا جنوبى مكة ، وكأنهم يقصدون اليمن ، ثم اتجه بهما الـــى الغرب حتى اقترب من شاطىء البحر الأحمر ، ثم اتخذ بهما طريقا غيــر مطروق ، قل أن يسير فيه أحد .. كان الطريق وعرا طويـــلا ، والقيظ لافحا ، والسير مضنيا ، ولكــن كان يذلل مسالكهما إيمان لا يدع للكلال أو الألم الى نفسيهما سبيلا . ورآهـــم رجل ، فأسرع الى قريش يخبرهم انه رأى ثلاثة رجال مروا به فى موضـع كذا ، يعتقد أنهـــم محمـــد وبعض صحابته ، وكان سراقـــة بن مالـــك حاضرا مجلس قريش حين تحـــدث الرجل عن الثلاثة الذين رآهم ، فقال انما هم بنو فلان ، خرجوا تحت نظرنا ليضلل الرجل ، ويضلل قريشـــا ،

وليفوز هو بمغنم النياق المائة التي رصدتها قريش مكافأة لمن يدلهم على محمد .

مكث سراقة مع القوم ساعة ، ثم غادر المجلس ، وعاد الى بيته ، نتسلح ، وأمر احدى جواريه أن تسوق فرسه الي بطن الوادى حتى لا يراه أحد ساعة خروجه ، وخرج متخفيا ، وركب فرسه ، وجرى به الى المكان الذى وصفه الرجل ، وقال انه رأى فيه ثلاثة يظنهم محمدا وبعض صحابته .

كان النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وصاحبه أبو بكر ، ودليلهما عبد الله بن أريقط قد جلسوا فى ظل شجرة يتناولون بعض الطعام، ويستريحون من الارهاق والتعب . ولما هم النبى وصاحباه بركوب جمالهم أبصروا فارسا مقبلا من بعيد . ولم يكن ذلك الفارس غير سراقة ابن مالك .

كان جواد سراقة قد كبا به مرتين لشدة ما أجهده . فلما رأى الثلاثة أيقن أنهم طلبته ، فصب على الجواد سوطه ، ليطير به ، لكن الجواد كبا كبوة عنيفة ، وغاصت أماميتاه فى الارض ، وألقى فارسه من فوق ظهره يتدحرج فى سلاحه .. تطير سراقة ، واعتقد أن النبى قد دعا عليه ، فنادى بالأمان ، فوقف النبى وصاحباه حتى وصل اليهم سراقة يلهث ، فقص عليهم أخبار قريش ، وما جعلت لمن يقبض على النبى . وطلب أن يكتب له النبى كتاب أمان يكون آية بينه وبينه ، فكتب أبو بكر كتابا بأمر النبى ، ودفعه الى سراقة ، وقال له : أخف عنا ..

عاد سراقة بالكتاب ، واخذ يضلل من يطاردون المهاجر العظيم ، بعد أن كان هو يطارده .. وكانت تلك معجزة ثانية بعد معجزة الغار !

انطلق الركب فى الصحراء المترامية ومروا فى طريقهم بأعرابية كريمة ، هى أم معبد الخزاعية كانت تجلس أمام خيمتها ، فسألوها تمرا أو لحما يشترونه ، فلم يجدوا عندها شيئا . ونظر النبى الى شاة عجفاء فى جانب الخيمة ، فقال ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت : شاة لم تستطع أن تخرج الى المرعى لشدة ضعفها ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : هل بها لبن ؟ قالت : انها عجفاء كما ترى . قال أتأذنين لى أن أحلبها ؟ قالت : نعم . دعا صلى الله عليه وسلم بالشاة فمسح ضرعها ، وذكر اسم الله ، وقال : اللهم بارك فى شاتها . ودعا باناء فحلب فيه لبنا غزيرا ، فسقى أم معبد حتى رويت ، وسقى صاحبيه حتى رويا ، وشرب عليه السلام ، وقال : ساقى القوم آخرهم ، ثم حلب مرة أخرى حتى امتلأ الاناء ، وتركه عند أم معبد وخرجوا .. وكانت تلك معجزة ثالثة .

سار النبى وصاحباه اياما وأياما حتى بلغوا المدينة ، فدخلها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو يمتطى ناقته القصواء ، وقد أرخى لها زمامها والمسلمون من اهل يثرب حوله يهللون ويكبرون حتى بلغت الناقة مربدا لغلامين يتيمين فى المدينة من بنى النجار ، فبركت ، فنزل الرسول الكريم وطلب أن تبنى له دار بهذا المكان ، وأن يقام به مسجد للمسليمن ..

هذه قصة الهجرة : أجل ما عرف التاريخ من جهاد فى سبيل الحق والعقيدة والايمان قوة وروعة . وهكذا رسخت صخرة الاسلام شامخة شماء ، وضرب النبى الكريم المثل الاعلى فى الصبر والثبات لكل مجاهد ، ثم نزلت الآية الكريمة تتوج هذه الهجرة المباركة : (الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول

لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لـــم تروها وجعــل كلمـــة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا واللـــه عزيز حكيم) التوبة .

ومن أجل التضحيات التي صاحبت الهجرة ، ونتيجة لما حققه المسلمـــون بهجرتهم من انتصارات ، نرى أميـــر المؤمنين عمر بن الخطاب لم يجد حادثا أعظم من الهجرة يتخذه مبدأ للتاريخ الاسلامى .

التاريخ الهجرى :

من مصادفات التاريخ العجيبة التى قلما تتكرر أن رسول الله ــ صلـــى الله عليـــه وسلم ــ قد ولد يـــوم الخميس **الثانى عشر من ربيع الاول** من عام الفيل ، الموافق ٢٣ من أبريل سنة ٥٧١ ميلادية ، وانه ــ عليـــه الصلاة والسلام ــ قد هاجر من مكة الى المدينة فى شهـــر ربيـــع الاول ايضا ، وانه وصل الى قباء ــ وهـــي ضاحية فى جنوبى المدينة ، على بعد ثلاثة أميال منها فى يوم الاثنين **الثانى عشر من ربيع الأول** عام ١٤ مـــن البعثة ، الموافق ٢٤ من سبتمبر سنة ٦٢٢ ميلادية ، فأقام فى قباء أيـــام الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس ، ثم خرج الى المدينة فى ضحى الجمعة السادس عشر من ربيع الأول ، وانه عليه صلوات اللـــه وســـلامه ــ قد انتقل الى الرفيق الأعلى يوم الاثنين **الثانى عشر من ربيع الاول** عام ١١ من الهجرة الموافق ٨ من يونيه سنة ٦٣٢ ميلادية .

فهو ــ عليه أفضل الصلاة وازكى السلام ــ قد ولد ، وهاجر ، وانتقل الى جوار ربه فى شهر ربيع الاول ، وأنه ولد وتوفى فى الثانى عشر منه ، ووصل فى هجرته الى قباء بقـــرب المدينة فى الثانى عشر منه أيضا . .

وفى السنة الثالثة من خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب جمـــع ــ رضى الله عنه ــ الصحابة السابقين الاولين ، وقال لهم ، ان الاموال قد كثرت ، وما قسمنا منها غير موقـــت (أى غير محدد بتاريخ ينضبط به) ، فكيف التوصل الى ما يضبط ذلك ؟ . لقد رفع إلى صك موعده شـــعبان ، فلا ادرى أى شـــعبان هو ؟ آلـــذى مضى ؟ أم الذى نحن فيه ؟ أم الآتى ؟. ضعوا للناس شيئا يعرفون به . .

ناقش الصحابة الأمر ، فمن قائل: اكتبوا على تأريخ الروم ، وقائـــل : اكتبوا على تأريخ الفرس . فأبى عمر ــ رضى الله عنه ــ إلا أن يجعـــل تأريخ الإسلام إشـــارة الى حـــادث إسلامى كبير ، فأشار بعضهم بـــأن يجعلوه مولد الرســـول ، وأشـــار بعضهم بأن يجعلوه وفاته ، واشـــار على بن ابى طالب ــ رضى الله عنه ــ بجعله خروج النبـــى مـــن أرض المشركين ، أى يوم هجرته من مكـــة الى المدينة ، فراقت الفكرة الخليفـــة عمر بن الخطا بوسائر الصحابـــة ، لما حققته الهجرة من انتصار الإســـلام وانتشاره ، فاتفقوا على أن يكـــون مبتدأ التاريخ الاســـلامى هو وقـــت الهجرة ، ولهـــذا سمى التاريـــخ الهجرى .

ولما كانت الهجرة قد حدثت فـــى ربيع الأول ــ كما سبق أن ذكرنا ــ فان آراء الصحابة قد تعددت ، بعـــد أن اتفقوا على أن تكون الهجرة مبتدأ التأريخ الإسلامى ، وانتهت آراؤهم الى الموافقة على رأى عرضه عثمان ابن عفان ، هو أن يكون المحرم مبدأ للتأريخ الاسلامى ، لأن المحرم هو أول السنة العربية فى الجاهلية .

وهكذا صار أول المحرم أول السنة الهجرية الاولى ، ويوافق ذلك ١٦ من يوليه سنة ٦٢٢ ميلادية . وهكذا ظل التأريخ الهجرى بشهوره القمريـــة قائما الى اليوم ، والى أن يرث اللـــه الارض ومن عليها .



بقلم : دكتور احمد شوقى الفنجرى

تعريف الخمر :

من ناحية مكوناتها (أو من الناحية الطبية) هى كل سائل يحتوى على نسبة معينة من الكحول وتتراوح المشروبات الروحية فى هذه النسبة . فهى فى البيرة لا تزيد عن ٣٪ ويزداد الكحول الى ٢٥٪ فى المشروبات الاقوى ويصل التركيز الى ٥٠٪ فى المشروبات الروحية المركزة .

ومن المعروف طبيا أن بعض الادوية والأملاح الضرورية لصحة الانسان كأدوية السعال تذاب فى مادة الكحول .. وكذلك بعض أنواع المياه الغازية مثل الكولا .. وتسمى المادة المذابة المستخلص الكحولى .

ولا تدخل هذه الأدوية والسوائل علميا ولا شرعيا فى باب الخمور لأن مادة الكحول فيها غير حرة ٠ لا تؤدى الى السكر .

وتعريف الخمر فى الاسلام :

انها كل مادة مسكرة . وذلك لقول رسول الله « كل مسكر خمر وكل مسكر حرام » (١) وهذا يوسع

المعنى لكى يشمل اى مادة تؤدى الى السكر أو الإدمان ولو لم تكن خمرا .

كيف تؤثر الخمر فى الانسان ؟

يتوقف تأثير الخمر على عاملين :

العامل الأول : **كميـــة الكحول وتركيزه فى الدم .**

اذا شرب الانسان كأســين من البيرة فان نسبة الكحول تصل فى دمه الى ٥ مجم فى كل ١٠٠ سم من الدم وهى نسبة كافية لاحداث التأثير المطلوب عند المبتدئين . ويزيد تأثير الكحول بالتدريج كلما زاد تركيزه فى الدم . فاذا وصل التركيز الى ٥٠ مجم كحل فى كل ١٠٠ سم دم فان الانسان يفقد قوة التركيز الذهنى .. ويفقد السيطرة على عواطفه أو التحــكم فيها .. وقد ينخرط فى الضحك فى مواقف الجد والحزن .. وقد ينخرط فى البكاء دون مبرر .. ولكنه غالبا يستطيع السيطرة على عضــلاته وأطرافه أثناء المشى فى هذه المرحلة .

فاذا زاد تركيز الكحول فى الدم الى ١٥٠ مجم فى كل ١٠٠ ســم فان الانسان يتمايل فى الهواء من السكر ويفقد السيطرة على عضلاته وأطراف جسمه ، وبديهى أن كل مراكز الفكر العليــا تتعطل فى هذه الدرجة عن العمل .

العامل الثانى : **هو اســتجابة الجهاز العصبى للانسان ..**

فقد لوحظ أن الناس يتــأثرون بالجرعة الاولى بدرجات متفاوتة .. فمنهم من يعتريه انفعال شديد وهياج ومنهم من يخلد الى السكون أو النوم من نفس الجرعة ..

ويرجع الخطر الاكبر من الخمر فى ان الجهاز العصـــبى يتعود على الكحول بالتدريج .. بحيث أن الكمية التى تؤدى بالانسان فى المرات الاولى الى الشعور بالراحة بعد تعب .. أو باللذة أو نسيان الهموم ، فانه لا يكفيه فى المرات التالية أن يتناول ضعفها أو ثلاثة أضعافها ليحصــل على نفس التأثير .. وهذا هو ما يؤدى به الى الادمان ..

ولذلك فان العلم الحديث يكذب كل من يدعى القدرة على الاعتــدال فى الشرب بصفة دائمة ..

أثر الكحول على الجهاز العصـــبى للانسان :

يقرر العلم الحديث أن مخ الانسان يتكون من مراكز مختلفة ، فالوظائف الراقية توجد فى المراكز العليا من المخ .. والوظائف الأقل رقيا توجد فى المراكز الاسفل منها ..

واعلى المراكز فى مخ الانسان هى التى تختص بالارادة وضبط النفــس والســـلوك الاجتماعى .. ثم تأتى أسفل منها مراكز العقل والتفكير .. ثم مراكز الحكم على الاشياء ثم مراكز الذاكرة .. وأسفل من هــذه تأتــى المراكز المســيطرة على العواطف والاحاسيس ..

ويسرى مفعول الخمر من أعلى الى أسفل ..

أى أنها تؤثر على الوظائف الارقى فى المخ أولا ..

ولذلك فان أول شىء يتــأثر فى الانســان بالكميات القليــلة جدا من الخمر هو الارادة وضـــبط النفس والســـلوك الاجتماعى فاذا زادت الكمية تأثرت مقدرته على التركيــز الذهنى وهكذا ..

أثر الخمر على الشخصية :

لقد جاء فى تقرير للمجلس الوطنى لمكافحة الخمور فى بريطانيا أن شرب الخمر مدة طويلة يؤدى الى تحلل الشخصية .. ويسبب ضعف الارادة وشرود الذهن.. ومدمن الخمر لا يمكن الثقة بأقواله ولا بوعوده ولو فى صحوته .. كما لا يمكن الاعتماد عليه فى المسائل المالية أو القيادية .

فهو سريع التأثر سريع الغضب ، كثير الهواجس والاوهام واغلب هؤلاء المدمنين يصبح فاشلا فى عمله مشاغبا وعنيفا فى بينه عديم الثقة فى زوجته وأولاده .. !!

أثر الخمر على أعضاء الجسم الاخرى :

لكى تعرف الضرر الصحى للخمر يمكنك احضار خلية حية نشيطة الحركة مثل الاميبا والنظر اليها تحت الميكروسكوب وهى تتحرك وتأكل فاذا وضع فى الماء كحول بنسبة ١٪ فان هذه الخلية يقل نشاطها وتمتنع عن الطعام .. واذا زيدت الكمية فانها تصاب بالتسمم وتموت وهذا هو ما يحدث فى خلايا أجسامنا عند شرب الكحول ..

١ ــ تاثير الكحول على القلب والأوعية الدموية :

يتسبب الكحول بنسبة ١٪ فى زيادة عدد نبضات القلب ١٠ نبضات فى الدقيقة عن المعتاد مما يجهد القلب ، ومع تكرار الجرعة تؤدى الى تصلب الاوعية الدموية وخصوصا الاوعية التى تغذى القلب كالشريان التاجى مما يعرض الانسان للذبحات القلبية ..

ولذلك فان أهم نصيحة للمرضى المعرضين للذبحة القلبية هى الامتناع عن السجائر والخمر ..

٢ ــ تاثير الكحول على خلايا الدم :

للدم وظيفتان رئيسيتان : فبواسطة الكرات الحمراء يمتص الدم الاوكسجين من الرئة ويتخلص من ثانى أوكسيد الكربون .. وبواسطة الكرات البيضاء يقاوم الدم البكتريا والميكروبات التى تصل الى الجسم . واذا وضعت قطرة كحول فى ماء بنسبة ١٪ على نقطة دم فان الكرات الحمراء تتحول الى صفراء ويقل نشاط الكرات البيضاء ، ومعنى ذلك فى جسم الانسان الحى أن يقل امتصاص الدم للاوكسجين فتصاب خلايا الجسم بما يشبه الاختناق وتتعب العضلات بسرعة كما تقل مقاومة الجسم لشتى أنواع الامراض والميكروبات ..

وقد أجرت احدى الهيئات الطبية فى بريطانيا بحثا على فريقين من عمال (السكة الحديد) أحدهما : تناول قليلا من الكحول قبل العمل ، والآخر، لم يشرب الكحول فوجدت : أن الفريق الاول تعب بسرعة وكان انتاجه اقل .

٣ ــ تاثير الكحول على الكبد :

يتسبب الكحول فى المرض المعروف بـ (تليف الكبد الكحولى) وهو مرض منتشر فى أوروبا ونادر جدا فى

البلاد الاسلامية وفيه يموت عدد كبير من خلايا الكبد الحيـة وتتحول الى نسيج ليفى ، واذا كانت نسبة التلف كبيرة ادى ذلك الى الوفاة المبكرة . وقد أجري عالم نمساوى كبير بحثا على نسبة الوفيات فى أوروبا وامريكا من حالات تليف الكبد ، فوجد أن هذه النسبة قد قلت الى النصف خلال سنوات الحرب العظمى الثانية عندما كانت الخمور شحيحة ولا يحصل الانسان عليها الا مع بطاقة التموين ، وكذلك كانت الحالة فى امريكا عندما كانت الخمور ممنوعة .

٤ ــ الخمر ونقص الفيتامينات :

يصاحب شرب الخمر نقص شديد فى الفيتامينات فى الجسم وخصوصا فيتامين (ب) بأنواعه وفيتامين (سى) مما يؤدى الى ظهور مرض (البلاجرا) و (البرى برى) و (الاسقربوط) . وتظهر هذه الحالة بشكل رعشة فى اليدين وثقل فى اللسان وضعف فى العضلات واضطراب فى حساسية الجلد وقد يؤدى الأمر الى شلل الاطراف .. وتضخم فى القلب ..

بعض المعتقدات الخاطئة عن الخمر :

يعتقد كثير من الناس أن القليل من الخمر يفيد ولا يضر .. فهناك اعتقاد سائد بأنها تفتح الشهية للطعام .. وأنها مدرة للبول وانها تبعث الدفء فى الجسم عند البرد الشديد .. وهناك من يعتقد انها تزيد النشاط الجنسى كما يدعى بعض الناس أنها تخلق جوا اجتماعيا مرحا ..

وقد رأينا أن نبين هنا رأى البحث العلمى الغير متحيز فى كل واحدة من هذه المعتقدات :

١ ــ تأثير الخمور على شهية الطعام :

هناك اعتقاد سائد بأن الخمور بكميات قليلة وخصوصا البيرة تفتح الشهية للأكل .. وقد وجد العلم ان هذا الشعور مرجعه الى التأثير النفسى فقط بسبب تخدير المراكز العليا فى المخ .. وبدراسة التأثير الفسيولوجى للكحول على المعدة : وجد انه يزيد الحموضة .. ويسبب الخمول فى حركة الهضم والامتصاص كما يؤدى الى الالتهابات المزمنة فى غشاء المعدة وهذه بدورها قد تؤدى الى القرحة .. وكثير من الناس يصابون بالقىء مهما قلت كمية الكحول التى يشربونها ..

ومن المعروف أن الشعوب التى تكثر من شرب البيرة تصاب بالامساك المزمن وتربى كروشا كبيرة بسبب تمدد المعدة من الكميات الضخمة من السوائل التى يشربونها ..

٢ ــ تأثير الخمر على الكلى والجهاز البولى :

من المعتقدات الشائعة ايضا أن البيرة والخمور مدرة للبول وانها تساعد على طرد الحصوة والرمل وغسيل مجرى البول .. وحقيقة الامر أن البيرة يدخل فى تركيبها بعض الاملاح والاحماض الكاوية مثل حامض السليسليك الذى يحفظها من التعفن .. وبذلك تصبح عملية ادرار البول نوعا من ارهاق الكلى

واتلاف نسيجها ، وكثير من مدمنى الخمر يصابون باحتباس البول أو بعدم السيطرة على التبول ..

٣ ـ الخمر والتأثير الجنسى :

هناك اعتقاد شائع بأن الخمور تنشط الغريزة الجنسية .. وحقيقة تأثير الخمر على الجنس ينقسم الى قسمين :

الاول : عن طريق التأثير على المراكز العليا فى الجهاز العصبى بتخديرها مما يزيل الشعور بالخجل أو الخوف والتردد مؤقتا (فى حالة وجود الخوف والتردد فقط) .

الثانى : عن طريق التأثير على المراكز السفلى فى المخ مما يضعف القدرة الجنسية ويؤدى الى الارتخاء والهبوط الجنسى .

وهذان التأثيران متعارضان بصورة خطيرة .. فالأول قد يزيد الرغبة الجنسية والثانى يضعف المقدرة وهذه الحالة تؤدى الى الكثير من العقد النفسية والجنسية عند شاربى الخمر وكثيرا ما تهدم الحياة الزوجية ..

ومن الملاحظ هنا أن الشخص العادى الذى لا يعانى من عقدة الخوف أو الخجل لن يستفيد من الشرب بل يضره ، وليس معنى هذا أن يقال إن عقدة الخوف والخجل سبب يدفع العقلاء لشرب الخمر فان هذه العقدة سريعا ما تزول على بساط الحياة الزوجية والفهم المتبادل لطبيعة الحياة الجنسية السليمة .

٤ ـ هل تزيل الخمر البرد وتبعث الدفء :

هذا الاعتقاد الشائع ايضا غير صحيح .. والذى يحدث أن الاوعية الدموية فى الجلد والوجه تتمدد عند تناول كمية قليلة من الخمر .. ويتدفق فيها الدم فيسبب احمرار الجلد والوجه مما يسبب (التوهم) بأن الجسم قد ارتفعت حرارته ولكن الواقع أن هذا التمدد فى الاوعية يؤدى الى خروج الحرارة الداخلية من الجسم وهبوط حرارته .. وفى القطب الشمالى يحظر على أعضاء بعثات الاستكشاف تناول الخمر لأنها قد تؤدى الى هبوط الحرارة الداخلية وتجمد الاعضاء والوفاة المفاجئة !!

٥ ـ الخمر والتأثير الاجتماعى :

يرى كثير من الناس أن تناول الخمر يجعل الانسان اجتماعيا يحب عشرة الناس والجلوس مع الاصدقاء وأنه يصبح أكثر مرحا وودا .. وربما كان فى ذلك بعض الحقيقة للوهلة الاولى .. ولكننا لو تعمقنا فى دراسة الاسباب لوجدنا أن الخمر تسبب بعض التخدير فى العقل الواعى مما يقلل شعور الانسان بواقعه ويقلل من تحفظه فى الكلام فينطلق لسانه بغزارة ويبدو اجتماعيا ودودا .. وهذا نوع من الحلول السلبية لمشاكل الحياة .. ومن أخطر مظاهره أن هذه الروح الاجتماعية المرحة لا يعقبها أى تصرف ايجابى لخدمة الغير أو المروءة والنجدة ..

واذا كان الهدف هو خلق روح اجتماعية وجعل الانسان ودودا يحب الناس فليكن ذلك بالاسلوب الايجابى (لا السلبى) وعن طريق الدين والعقيدة لا عن طريق تخدير الناس ونسيانهم لواقعهم ..

الخمر كمشكلة اجتماعية واقتصادية فى أوروبا :

لا تكاد الخمر أن تكون مشكلة ذات بال فى العالم الاسلامى .. وذلك بفضل الحسم القاطع الذى واجهها به الاسلام .. أما فى باقى العالم وخصوصا فى أوروبا وأمريكا فهى تشكل مشكلة اجتماعية واقتصادية خطيرة .. ففى كل بلد متطور نجد عشرات الهيئات المختصة فى الدعوة ضد المسكرات وفى علاج المدمنين كما نجد الكثير من المستشفيات ودور النقاهة المختصة بهذه المشكلة ..

وقد نشر المجلس الوطنى للمسكرات فى أمريكا سنة ١٩٦٦ احصائية يذكر فيها أن فى أمريكا وحدها ٦ ملايين رجل وامرأة يدمنون الخمر الى حد التسمم وأن الخمر تتسبب فى :

- ١٠٪ من حالات الجنون والاضطراب العقلى التى ادخلت المستشفيات .
- ٣٠٪ من حالات الطلاق وتشرد الاطفال .
- ٤٥٪ من حوادث السيارات .
- ٦٥٪ من أسباب البطالة أو التهرب من العمل .

وبلغت خسائر أمريكا فى هذه السنة بسبب الخمر وحدها ٢٫٥ بليون دولار ..

الاسلام والخمر :

يعتبر الاسلام الدين الوحيد الذى جاء بأمر قاطع فى النهى عن الخمر .. وقد اتبع الاسلام فى ذلك أسلوبا فريدا فى نوعه سبق به أحدث الطرق العلمية والنفسية بعدة قرون .. ونلخص هذا الاسلوب فى أمرين :

أولا : التدرج فى المنع حتى لا يشق على الناس .

ثانيا : ربط الاوامر بالاحداث الواقعية مستفيدا من التأثير النفسى والسيكولوجى .. أول آية نزلت فى الخمر كانت عندما قال عمر « اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا » فنزل قوله تعالى :

« يسالونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير .. ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما » سورة البقرة ، آية ٢١٩ .

وهنا قال بعض الناس حرمت الخمر وانتهوا عنها ..

وقال آخرون يا رسول الله دعنا ننتفع بها كما قال الله عز وجل فسكت رسول الله عنهم .. وكان بعضهم يحضر الصلاة وهو سكران فلا يدرى ما يقول ، وعاد عمر يدعو ربه « اللهم اجعل لنا فى الخمر بيانا شافيا » فنزلت الآية الثانية : **« يايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون »** النساء/٤٣ .

فقال بعضهم حرمت الخمر .

وقال بعضهم لا نشربها قرب الصلاة فسكت رسول الله عنهم ..

ثم دعا عمر ربه « اللهم بيّن لنا فى الخمر بيانا شافيا » فنزلت الآية الثالثة الحاسمة :

« يا أيها الذين آمنوا .. انما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون .. انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله

وعن الصــــلاة فهل أنتم منتهون » سورة المائدة / الآيتيــن ٩٠ و ٩١ .

فلما نزلت هذه الآية جاء النــاس الى الرسول فقــــال لهم « حرمت الخمر » .

ومن أحاديث الرسول فى الخمر قوله « اجتنبوا الخمر فانها مفتاح كل شر » الحاكم عن ابن عباس الترغيب حـ ٤ ص ٢٩٨ ..

« من لقى الله مدمن خمر لقيــه كعابد الوثن » رواه ابن حبان عــن ابن عبــاس ــ الترغيب حـ ٤ ص ٢٩٧ .

وقوله « من شرب الخمر أسقاه الله من حميم جهنم (٢) يوم القيامة » .

وعن عائشـــة « كل مسكر حرام ومـــا أســكر الفــرق منـــه فملء الكف منه حرام » فقه السنة حـ ٩ ص ٥٢ ط أولى .

الخمر فى الحدود الشرعية :

لم ينزل فى القــرآن حد على الخمر .. ذكر العيــنى فى شرح الكنز عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب فى الخمــر بالجريد والنعال .. نســـبه الى الشافعى .. وروى عن الامام أحمد عن أبى سعيد قال : جلد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخمر بنعلين ، فلما كان على عهــد عمر جعل بدل كل نعل سوطا ، شرح العينى على الكنز حـ ١ ص ٢٣٠ .

وأول من حد على الخمر أبو بكر الصديق رضى الله عنه . فقد ضرب عليها أربعين ضربة بالجريدة وبأطراف النعال ..

وعندما فتح الله على المســلمين بلاد الشـــــام ومصر وفارس كانت الخمر متوفرة فى تلك البلاد يشربها أهل الذمة ويبيعونها فى الأسواق والخمارات فلم يتعرض الخليفة لهم احتراما لشعائرهم ..

ولكن بعض الشباب والجنـــود المسلمين ابتدأوا على عهد عمــر يشربون الخمر مستخفين بهــذا الحد الهين .. وزاد الأمر على عمر حين ابتدأ بعضهم بتأويل كتاب الله لتعليل فعلتهم ..

ــ فمنهم من قال ان الخمر لــم تحرم علينا لأن الله قال فاجتنبوه ولم يقل حرم عليكم ..

ــ ومنهم من قال ان الله قد أنزل الحدود فى كل معصية الا الخمــر ولو كانت حراما لأنزل الله فيها حدا معروفا .

ــ وقال آخرون ان الله قال « فهل أنتم منتهون » فلم يعزم علينا أى لم يأمرنا أمرا .

وقد كبر على عمر هذا التــأويل لكتاب الله واعتبره معصية أكبر من شرب الخمر .. فجمع عمر الصحابة فرأوا :

ــ أن من يحاول تأويل كتاب الله فى الخمر حكمه كحكم المرتد عــن الاسلام يحل دمه على المسلمين .

ــ وأما من أقر بأن الخمر حرام وشربها فحكمه كمن يقذف المحصنات لأن شارب الخمر لا يعى ما يقول وقد يسب ويقذف فحده ثمانون جلدة ..

وبذلك أنهى عمر فتنة كادت أن تطل على الاسلام فى أول عهده ..

وعندما تولى عثمان الحكم عاد الى حد أبى بكر .. فكان يضرب علـــى الخمر أربعين اذا كان لأول مرة ومن عاد يضربه ثمانين ..

علاج مشكلة الخمر :

ان الطريق الصحيح لعلاج مشكلة الخمر هو الجمع بين :

ــ التربية البدنية .

ــ والتثقيف الصحى .

والطب وحده لا بد أن يفشل كعلاج كما أن الدين وحده لا يحقق النتائج المرجوة دون الاقناع العلمي والطبى .

وأول قاعدة فى هذا العلاج هى « **الوقاية خير من العلاج** » .

ومعنى ذلك منع الخمر منعـــا قاطعا فى المجتمع الاسلامى وذلـك يشمل منع بيعها والاتجار فيها ومنع صنعها أو استيرادها وما أصـدق قول رسول الله (١) : « لعن الله الخمر ، وشاربها ، وساقيها ، ومبتاعها ، وبايعها ، وعاصرها ، ومعتصرها ، وحاملها ، والمحمـولة اليه وآكل ثمنها » رواه ابن ماجه عن ابن عمر ــ الترغيب حـ ٤ ص ٢٩٣ .

ان الانسان بطبيعتـه يكون فى أحسن حالاته الصحية اذا عاش على الفطرة التى خلقنا الله عليهـا .. وليس فى فطرة الله مخدر ولا منبه ولا خمر .. ولو نشأ الشباب والجيل الجديد فى مجتمع لا يرى فيه الخمر ولا يسمع عنها فانه لن يحس بفقدان شىء ، وسوف ينشأ حياة صحية سليمة .

وقد أثبتت الابحـاث العلمية أن مدمن الخمر يبدأ هذه العادة مجاراة لأهله أو أصدقائه .. وقد لا يكون بين هؤلاء سكير ولا مدمن للخمر ولـكن استجابة الناس لهذه المسـكرات تختلف من جسـم الى آخر ومن شخصية الى أخرى ، فمنهم من يكتفى بجرعات صغيرة ويتوقف عند حد معين ومنهم من يصاب بالادمان بعـد أول تجربة .. وكثيرا جدا ما يتحـول الشخص المعتدل الى مريض مدمن عندما تصادفه مشـكلة كبيرة فى حياته أو صدمة نفسية .. وكل واحد من هؤلاء المدمنين يعتبر فى الطب مريضا بالجسم والعقل والروح فى وقت واحد .. ولذلك كان العـلاج الاول هو العلاج الجذرى أى منع الخمور من المجتمع منعا قاطعا (١) ..

وقد لوحظ بالتقصى والبحث العلمى ان معظم حالات شرب الخمر ترجع الى اسباب ثلاثة :

السبب الأول : هو الاعتقـاد السائد بين الناس بأن للخمر فوائد جنسية أو اجتماعية أو أنها ضـد البرد .. وقد سبق تفنيد هـذه المعتقدات فعـلاجها يكون بالتثقيف الصحى والتوعية العلمية .

السبب الثانى : التخـلص من مشاكل الحياة والهروب من الواقع .

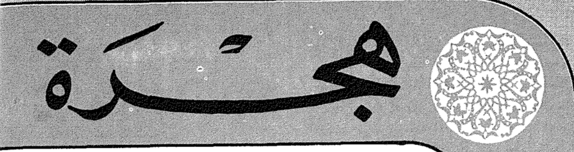
السبب الثالث : الفراغ والملل .

وخير علاج لهذين العـاملين الاخيرين هو بعث العقيدة الدينية فى نفوس الشباب ، فالدين يملأ علـى الانسان كل فراغ نفسى .. ويجعل للحياة هدفا وغاية ويبعث فى النفس الشجاعة لمواجهة الحيـاة بدلا مـن الهروب من المشاكل بالمخـدرات والمسكرات .

---

(١) رواه مسلم عن ابن عمر : ذكره العينى فى شرح الكنز هـ ٢ ص ٢١٨ .

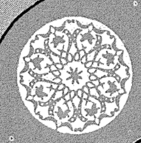
(١) رواه البزار عن ابـن عمر ــ الترغيب هـ ٤ ص ٣٠١ . .



الليل سهران الجفون بظلمة الكون اكتحل
ومعالم الصحراء قد مدت كأطراف الأزل
وكتائب الصمت الرهيب تدب فى سفح الجبل
والبيد فى فرح تهدهده تباريح الوجل
والبدر فى وجه السماء رأى المهاجر فاكتمل
وأنامل التاريخ أمسكت اليراع على عجل
لتخط أروع قصة فى خلدها أوفى مثل
والكون حين تحمل السر استعز بما حمل
ضمت جوانبه بآمال المنى أحلى أمل
والدهر يبسم والوجود عن الوجود قد انشغل
والوحى بين يديه ليثار تغنى وارتجل
وعلى أديم الأرض أقدام تسير على مهل
خطواتها فوق الرمال كأنها لمس القبل
ما ذلك السر الذى يمشى ومن هذا البطل
هذا رسول الله ! هاجر للمدينة وارتحل

* * *

وتسير قافلة النبى على هدى نور النبى
سارت بوحى الوحى للمختار من أمر العلى
هى حكمة اذن الرسول بها بمعناها الخفى
فمضى بسر يقينه يمضى فلا يثنيه شى
بل هاجر الرجل الأبى بدينه السمح الأبى
ببطولة كالخلد ، كالأقدار ، كالنور الجلى
تسرى معانيها إلى معنى الشجاعة فى على
فيبيت فى دار النبى يفديه بالعمر الفتى
ضحى لينعم بالمبيت بمضجع الطهر النقى
وينام ملء عيونه والموت حول الدار حى



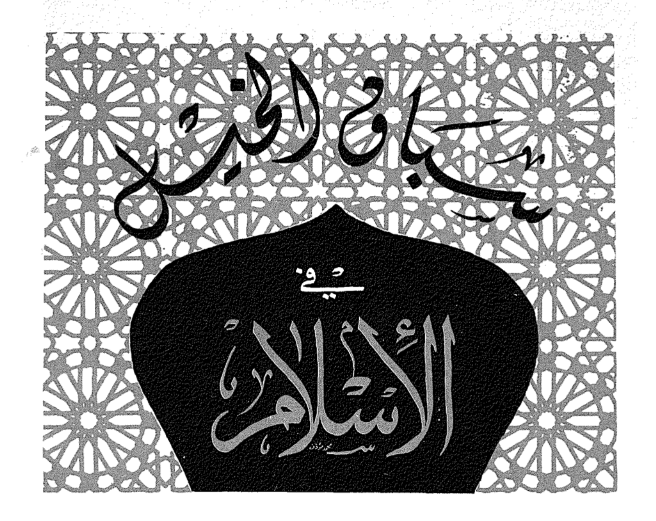
المصطفى

للاستاذ المرحوم محمد محمود الماحى

وسرت بمعناها الوفى إلى أبى بكر الوفى
هذا الصديق الصادق الصديق ذو القلب الرضى
وسرت إلى أسماء وهى كبرعم الزهر الندى
فتحملت ما ناله منها أبو « الجهل » العتى
كم راح يضربها فما لانت ولا باحت بشى
ل صانت السر الرهيب بقوة الله القوى
لتسير قافلة النبى عل هدى نور النبى

* * *

وتسير فى أثر الرسول قوافل متتابعة
رهط من الأعداء تحملهم خيول مسرعة
أصواتهم تحت الغبار كولولات الزوبعة
جنت عقائدهم فباتوا فى حياة ضائعة
وطواهم الحقد المرير عل نوايا مفزعة
فتلمسوه ليقتلوه ، وإنما المولى معه
فمحمد فى الأرض تحرسه السماء السابعة
ومحمد فى الغار لا شىء هنالك روعه
لا شىء غير الوحى بالتأييد يطرق مسمعه
وكتائب الأعداء حيرى فى البقاع الواسعة
خدعوا بخيط العنكبوت وبالحمامة وادعة
فتفرقوا ومضى النبى إلى المدينة فى سعة
والغار يبكى حينما هم النبى فودعه
يا فرحة الأنصار والأنوار فيهم ساطعة
أخى رسول الله بينهم ُ وضوأ موضعه
ما أروع التاريخ . . . حين نقصه ما أروعه !



للدكتور نجاتى على ابراهيم

المسابقة على الدواب مشروعة ، لأنها آلة من آلات الجهاد فى سبيل الله ، ومع ذلك فليست كل الدواب صالحة لهذه المسابقة المشروعة ، وإنما يختص هذا بنوع معين منها ، هو ذو الخف والحافر ، لقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن ماجه وغيره : « لا سبق إلا فى خف أو حافر » وهذا يشمل : الخيل ، والابل ، والبغال ، والحمير ، والفيلة (١) .

وقد شرع الاسلام : المسابقة ، لأنها كانت تعتبر التدريب العملى ، والاستعداد الفعلى للجهاد ، ولقاء العدو ، ولذلك جاز أن تتم بعوض — وبغير عوض — لأن الهدف منها : اتقان فن السباق وممارسته ، ومعرفة قواعده ، كى يستفاد منه ، وينتفع به وقت استخدامه ، عند الحاجة إليه .

وإذا كان هذا هو الغرض من المسابقة ، فان الاسلام قد نأى بها : عن جو المقامرة ، حتى يتحقق المقصود منها ، فلا تكون وسيلة للكسب الحرام ، ومن هنا جاز أن يقدم العوض — الذى يعتبر جائزة يستحقها الفائز فى السباق — أحد المتسابقين ، كما يجوز أن يقدم العوض غيرهما ، يقول العلامة الخطيب الشربينى : ويجوز شرط

العوض من غير المتسابقين ، سواء اكان من الإمام أم من غيـره ، كـأن يقول الامام : من سبق منكما فله في بيت المال كذا ، ويكون ما يخرجـه من بيت المال ـ من سهم المصالح ـ كما قاله البلقيني ، أو يقول الأجنبي : من سبق منكما فله عليّ كذا ، لأنه بذل مال في طاعة (٢) .

فاذا اخرج العوض من اخرجه ، فان السابق من الفارسين هو الذى يستحق العوض : جائزة له علـى سبقه ، وتقديرا له على فوزه ، لا يشاركه فيه أحد غيره .

وعلى هـذا فان التنافس بين المتسابقين ، إنما يكون على عوض واحد ، يحرزه الفائز في السباق ، بينما يحرم المسبوق الذى لم يفز ، فلا يأخذ شيئا من هذا العوض .

وهذا التنافس إنما تبدو حقيقته ، وتبرز اهميته ، وتشتد ضراوته بين المتسابقين : إذا أخرج العـوض غيرهما ، ليكون جائزة للفائز منهما ، فكل واحد من المتسابقين ـ في هذه الحالة ـ يبذل جهـده ، ليسبق صاحبه ، حتى يستأثر بالعـوض ، وينتزعه لنفسه ، ويفوز به وحده .

أما إذا اخرج العـوض : احـد المتسابقين ، فان التنافس هنا يختلف إذ يأخذ له شكلا آخر ، فهو بالنسبة لمن أخرج العوض : يكون وسيلـة لاستبقاء العـوض واسترداده ، والمحافظة عليه ، حتى لا يفوز بـه منافسه ، بينمـا يكـون التنافس بالنسبة للمتسابق الآخر ـ الذى لم يخرج العوض ـ وسيلة للفـوز بالعوض الذى أخرجه صاحبه .

وهذا قد يدفع المتسابقين ، إلى أن يخرج كل واحد منهما عوضا ـ من جانبه ـ حتى لا يكون لأحدهما فضل على الآخر ، يمن به عليـه ، وبذلك تتحقق المساواة بينهمـا ، ويكون للتنافس اسبابه وبواعثه ـ التى تدفع إليه ـ حتى إذا قـدر لأحدهما أن يسبق صاحبه ، فانـه يأخذ العوضين معا ، نتيجة سبقه ، وتقديرا لفوزه الذى أحرزه وحققه .

وتلك مقامرة نهى الاسلام عنها ، ونفر منها ، لأنها تتعارض مع الفرض الذى من أجله شرعت المسابقـة ، ولأنها تؤدى ـ في النهاية ـ إلـى الكسب الحرام الذى يمقته اللـه ورسوله .

ولما كان إخراج العـوض من المتسابقين : أمرا محرما ، يؤدى إلى المقامرة المذمومة شرعا ، احتـال الناس حتى يضفوا على المحـرم : صفة الحل ، ويخرجوه من دائـرة المنع ، إلى دائرة الجواز والمشروعية وذلك بادخال متسابق ثـالث ، لا يخرج عوضا من جانبه ـ اكتفاء بما اخرجه المتسابقان ـ وبذلك تـزول صفة المقامرة شرعا ، ويـذهب التحريم ، ويعود عنصر التحليل ـ الذى افتقده ـ ثم عاد مـع مجيء المتسابق الثالث .

وبانضمام المتسابق الجـديد ، يكون السباق قد اشتمل على ثلاثـة ـ من الفرسان ـ لكل واحد فرسه التى يركبها ، ثم يجرى التنافس بعد ذلك : على أخذ العوضين ، ليحصل عليهما من يسبق صاحبيه .

= فان كان السبق في جـانب الفارس الجديد ، فانـه يأخـذ العوضين .

= فان تأخر ، وسبقه صاحباه ، فانه لن يغرم شيئا لهما : عن تأخيره، ويكون الموضان للسابق منهما .
= أما إن جاء المتسابقان معـا ، فكل واحد منهما : يأخذ عوضه الذى اخرجه ، ولا يغرم لصاحبه شيئا .
= فان جاء الثالث مع أحـد المتسابقين ، فان هذا المتسابق يبقى له عوضه الذى أخرجه ، ثم يقتسم بعد ذلك عوض صاحبه الذى تأخر : مع الفارس الثالث ؛ وفى هـذا يقول الخطيب الشربينى : وإن جاء المحلل مع أحد المتسابقين ، وتأخر الآخر : فمال هذا لنفسه ، لأنه لم يسبقه أحد ، ومال المتأخر : للمحلل وللذى معه ، لأنهما سبقاه (٣) .
وبذلك يتحقق التنافس المشروع ، وتزول صفة القمار المحرمة التـى وجدت : نتيجة لاخـراج كـل من المتسابقين عوضا .

ولما كان ادخال الفرس الثالث — بين الفرسين — قد حلل المسابقـة واجازها : بعد تحريمها ، اشتهرت هـذه الصورة : بحيلـة الفرس المحلل .

وهذا الفرس المحلل : لا بـد أن يكون كفؤا للفرسين ، حتى يكـون الثلاثة فى مستوى واحد ، من القوة والنشاط ، فلا يصح أن يكون اقـل منهما ، لأنه لو كان ضعيفا ، فمن المؤكد ان لا يلحق بالفرسين ، ولـو كان كذلك : فان دخولـه لن يأتى بالغرض المشروع ، اذ تبقى صـورة القمار كما هى ، دون أن تتغيـر ، وهذا الفرس إنما سمى محـللا ، لأنه يحلل العقد ، ويخرجـه عـن صورة القمار المحرمة ، وهو ما يعنيه العلامة السندى بقوله : ان كـان مما يمكن أن يكون سابقا أو مسبوقا فجائز (٤) .

فالتكافؤ أمر ضرورى ، لا بد منه ، لأن إمكان السبق وعدمه : إنما يكون عند التساوى ، فان كان الفـرس المحلل ضعيفا — يقطع بتخلفه — أو فارها يقطع بتقدمه : فلا يجوز (٥) .

وهذا ما يشير إليـه الرسول — صلى الله عليه وسلم — بقـوله : « من أدخل فرسا بين فرسين ، وهو لا يؤمن أن يسبق : فليس بقمار ، ومن أدخل فرسا بين فرسين ، وهو يؤمن أن يسبق : فهو قمار (٦) » .

وعلى هذا — فوجه الدلالة — من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم كما يقول شيخ الاسلام ابن تيمية : أن الله سبحانه حرم إخراج السبق (٧) من المتسابقين معا ، لأنه قمار ، إذ يكون كل منهما : بين ان يأخذ من الآخر ، أو يعطيه على السبق ، ولم يقصد المخرج أن يجعل للسابـق : جعلا على سبقه ، فيكون من جنس الجعالة ، فاذا أدخلا — ثالثا — كان لهما حال ثانية ، وهو ان يعطيـا جميعا : الثالث ، فيكون الثالث له جعل على سبقه ، فيكون من جنس الجعائل ، ولا يكون كذلـك : حتى يكون فرسا ، يحصل معه مقصـود انتفاء القمار (٨) .

فادخال الفرس الثالث : إنما كان لمنع القمار ، وتصحيح الوضـع ، وإعادة المسابقة إلى صورتهـا المشروعة ، ومنع القصد الخبيث : من أن تترتب عليه آثاره .

فالتحريم قائم : إذا كانت المسابقة تؤدى إلى القمـــار ، وذلـــك فى حالتين :

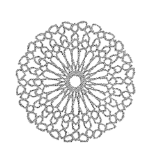
= إذا أخرج السبق كـــل من المتسابقين ، ولم يدخلا بينهما محللا .

= إذا أخرج السبق كـــل من المتسابقين كذلك ، وأدخلا بينهمـــا محللا ، وهما متأكدان : من أنه لن يلحقهما ، لضعف فرسه .

أما إذا كان الفرس المحلل ، فـــى مستوى فرسيهما : فان صفة القمار تنتفى ، لأن المسابقة فى هذه الحالة: يتوافر فيها عنصر الكفاءة ، وبالتالى يتحقق مقصودها الشرعى : لامكان السبق وعدمه .

ومع كـــل هـــذا ، فليس هناك ما يمنع : من أن تكون المسابقـــة ، من غير جعـــل أصـــلا ، بمعنى أن السابق لا يأخذ شيئا .

والله الموفق والمعين ، والهادى إلى سواء السبيل .



---

(١) انظر سنن ابن ماجة جـ ٢ ص ٩٦٠ وسنن ابى داود جـ ٣ ص ٢٩ والنسائـــى جـ ٢ ص ١٢٢ والاقناع فى حل الفاظ ابى شجاع للخطيب جـ ٢ ص ٢٤٧ وحاشية الدسوقى على الشرح الكبير جـ ٢ ص ٢٠٩ .

(٢) الاقناع جـ ٢ ص ٢٤٩ وانظر التنبيه للشيرازى ص ٧٨ وقوانين الاحكام الشرعية لابـــن جزى ص ١٧٧ .

(٣) الاقناع جـ ٢ ص ٢٤٩ وانظر قوانين الاحكام الشرعية لابن جزى ص ١٧٧ .

(٤) حاشية السندى على سنن ابن ماجه جـ ٢ ص ١٠٦ .

(٥) الاقناع جـ ٢ ص ٢٤٨ وانظر الام للامام الشافعى جـ ٤ ص ١٤٨ .

(٦) مسند الامام أحمد جـ ٢ ص ٥٠٥ وسنن أبى داود جـ ٣ ص ٣٠ وابن ماجه جـ ٢ ص ٩٦٠ وقوله « يؤمن ، ويسبق » مبنيان للمجهول .

(٧) السبق بفتح السين والباء : ما يجعل للسابق من المال على سبقه ، أما الســـبق بفتح السين وسكون الباء : فهو مصدر سبق بمعنى تقدم .

(٨) إقامة الدليل لابن تيمية ص ٢٣ .



بين اللغة والدين :

الاسرة كما فى القاموس : الدرع الحصينة .

وذهب علماء الاجتماع المحدثون الى أن الاسرة لا تتوقف عند حد القرابة الدموية . اذ قد ينضم اليها ما ليس منها كالدعى المتبنى .. كما قد يخرج عنها من تربطه بها صلة الدم دون أن ينتفع بها . كالمغترب الذى يعيش بعيدا عن أسرته . ولا تربطه بها صلة . وكاولاد الصلة غير المشروعة .

وقد اشترط دوركايم لتكوين الاسرة ان يتوافر فيها شرط آخر هو أن تكون هناك حقوق وواجبات يقرها المجتمع . وتحدد التزامات كل عضو نحو الآخر .

والاسرة فى الدين محددة بمفاهيم تتفق والمنهج الربانى الذى أبطل التبنى وحرم العلاقة الآثمة .. فهى اذن : مجموعة تكونت عن طريق العلاقة الشرعية . وارتبطت بالعقيدة التى حددت الحقوق والواجبات بين افرادها بخاصة . والمجتمع بعامة . وتمتد فتشمل بنى الانسان فى ضوء تلك المعالم .. وهى الامة الصغيرة التى تعلم الانسان منها أفضل أخلاقه الاجتماعية التى هى اجمل اخلاقه وانفعها .. وهى — أيضا — التى تمسك اليوم ما بناه النوع الانسانى فى ماضيه . وتؤول به غدا الى اعقابه وذراريه . حقا : لا أمة حيث لا أسرة . ولا انسانية حيث لا أسرة . وواجب الانسان تجاه الانسانية هو واجب الاسرة الكبرى التى جمعت أخوة الشعوب والقبائل من أبناء آدم وحواء للتعارف والوئام لا التناحر والخصام .. ومتى علمنا هذا فقد علمنا شان الاسرة فى الدين ..

إفراط وتفريط :

شغلت الأسرة خلقا كثيرا من أمم مختلفة . وطوائف متعددة . ممن اهتموا بالبحث فى شأنها . ذلك : أن بين الجنسين اختلافا فى صفات متنوعة . وجهات متعددة . فى الخلق والاستعداد . وفى مهمة كل منهما فى الاسرة والمجتمع .

ولنأخذ مثلا منشأ اختلاف وجهات النظر فى المرأة . فقد اختلفت تلك تبعا لاختلاف الثقافات والنحل والمدارك والملل . والأفكار التى تحكمت فى القديم والجديد . والأوضاع والتقاليد . ولقد بدأ هذا منذ فترة سحيقة حتى اليوم .. وكان اختلافا فيما لها من حقوق . وما عليها من واجبات . وما تختص به دون الرجل . وما ينفرد به الرجل عنها .. مما لا سبيل الى ادراكه . لا بطبع . ولا باحتمال . ولا بامكان . كما كان بعضه فى جانب انصافها وتقديرها بعض الشيء . وبعضه وهو الكثير جور عليها . وغمط لحقها بحرمانها بعض ما تستحق فى ميزان الانصاف والعدل . أو استعانة عليها لضعفها وقلة احتمالها .

ومن هؤلاء من نظر اليها نظرة

لا أمة حيث لا أسرة ولا إنسانية حيث لا أسرة

مجاملة ومحاباة أفسدت كثيرا من وضع الانسانية التى يرضى الحق جل شأنه أن تسعد وتنعم فى جو العدالة والاحسان فى رحاب الايمان ..

وخلاصة ما نحب أن نشير اليه هنا . هو ما وصلوا اليه نتيجة الافراط والتفريط .. من الحجر عليها الى حد الظلم . ومن اطلاق لها حتى تقدمت الصف وأصبحت الحاكم .. لعن الله قوما ولوا أمرهم امرأة . ولعن الله قوما ظلموها وقتلوها .

هذا . ولم تكن تلك الاختلافات بدعا من الأمر . فان ذلك هو الشأن فى كل أمر حيوى ما دام الفكر الانسانى غير ملتزم بالمنهج الربانى . فالفكر دائما يذهب مذاهبه حين لا يجد ركنا ركينا يستند اليه . ومنهجا قويما يسير عليه .

عناية القرآن بالأسرة :

الاسرة هى الركن الذى اذا صلح صلح العالم بصلاحه ، واذا فسد فسد بفساده . واذا كان الناظر فى القرآن الكريم يجد أن كثيرا من العبادات قد اتى تفصيل الكثير من أمره والدقائق فى شانه من سنة النبى صلى الله عليه وسلم . فانه يجد أن القرآن الكريم قد تولى تفصيل أهم شئون الاسرة وواجباتها . وسبل المعاملة فيها . تولى كل ذلك العليم الخبير بمقتضى علمه آلا يدل ذلك على خطورة شان الاسرة ومدى عناية القرآن الكريم بها .

والاهتمام بها يتضمن أمرين :

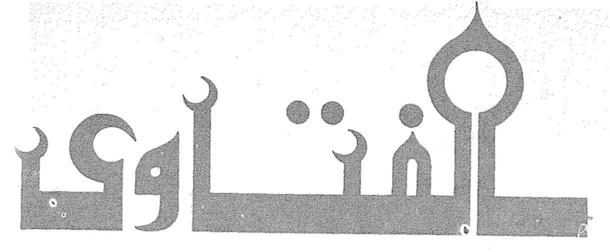
أولهما : ترتيب الاصلاح الانسانى على مدى اهتمام القرآن الكريم وعنايته بما يمكن ان يكون عماد رخاء الحياة وسعادتها .

ثانيهما : أن اتجاه الدين الى قضية من القضايا وعنايته بامرها وترديده الكثير من احكامها ، والفصل فى مشاكلها دليل على ما لتلك القضية من كبير الخطر . وما لهـا فى الحياة من عظيم الاثر .

وكلا الأمرين ينطبق على شئون الاسرة التى عنى بها الدين الحنيف وظهرت عنايته بها فى القرآن الكريم .

وعليه : فمن العبث التهاون فى أمرها . وعدم التدبر فى أحكام الله عز وجل بشانها . وعدم الالتزام بتلك المعالم فى كل أشكالها و صورها .

نعم : ان هناك من التكاليف الشرعية ما هو فى نظر الاسلام كالاسرة ولا يقبل الله فى ساحته من قصر فى تنفيذه والاهتمام بامره ولـكن تلك التكاليف سـهلة الحلول اذا ما اتجهت النفوس اليها بصدق واخلاص .



اسعاف المسلم بدم الكتابى

السؤال :

هل يجوز أن يسعف المسلم المصاب بنزيف الدم من دم النصارى واليهود ؟

الجواب :

اسعاف المسلم المصاب بنزيف الدم من غير المسلم جائز شرعا ، فعليه تتوقف حياة المسلم وبه يتم انقاذه من خطر الموت الذى يتهدده وفيه أبعاد له عن التهلكة التى أمرنا الله بتوقيها حيث يقول فى سورة البقرة « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » .

واذا نظرت الى أبناء الكتابية التى تزوجت بمسلم تجد أن أصل تكوينهم قد اختلط بدم غير مسلم .

والاسعاف بدم غير المسلم جائز وضرورة يبيحها الاسلام .

اختلاف الضرائب عن الزكاة

السؤال :

اذا كانت الضرائب التى قررتها الدولة تنفق فى مصلحة المحتاجين فهل يجوز أن أحسب الضرائب التى أدفعها من الزكاة .. ؟

الجواب :

الضرائب وضعها مخالف لوضع الزكاة ، لأن الزكاة ركن من أركان الاسلام وهى حق قرره الله سبحانه وتعالى للفقراء فى مال الأغنياء .

أما الضرائب فهى من وضع الحاكم يقرر على الموسرين نسبة معينة بما يحقق المصالح العامة للأمة .

والزكاة لها مقادير معينة بنص الشرع لا تزيد ولا تنقص عما حدده الشرع ومقدارها ٢١/٢٪ بالنسبة للنقد ، ١٠٪ أو ٥٪ بالنسبة للزروع والثمار مثلا

بخلاف الضرائب ، فقد ترتفع وقد تنخفض وقد تلغى اصلا عند الاستغناء عنهـا فمن الواضح أن احداهما لا تغنى عن الاخرى لاختلافهما فى الغاية وفى الاستقرار والدوام وعلى هذا فالضرائب لا تغنى عن الزكاة التى هى حق الفقراء .

قال الله تعالى : « وفى اموالهم حق للسائل والمحروم » ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ان الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم » فادفع الزكاة حقا للسائل والمحروم ، شكرا لله على نعمته .

الرضاع

السؤال :

أخي الاكبر رضع من زوجة خالي وعندها بنت أريد أن أتزوجها .. فهل يحرم عليّ الزواج منها .. ؟

الجواب :

رضاع أخيك الاكبر من زوجة خاله يجعله ابنا لها من الرضاعة فتحرم هى وبناتها عليه لأن الله تعالى يقول فى سورة النساء : « حرمت عليكم أمهاتكم » الى أن قال سبحانه : « وأمهاتكم اللاتى أرضعتكم وأخواتكم من الرضاعة » .
وانت لا دخل لك بهذا التحريم لأنك لم ترضع من أم الفتاة والفتاة لم ترضع من أمك فلا تكون انت أخاها من الرضاع فيحل لك الزواج من ابنة خالك المذكور اذا كان الأمر كما وصفت .

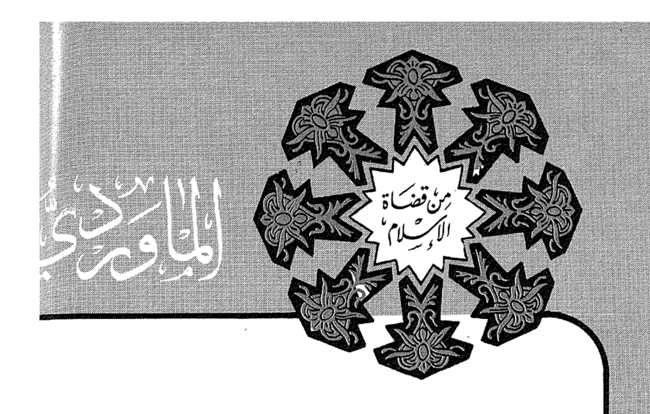
الرهن

السؤال :

أريد أن اقترض مبلغا من البنك لأفتح به دكانا وعندى قطعة ارض زراعية .. فهل يجوز شرعا رهنها للبنك ضمانا للقرض ..؟

الجواب :

الرهن أجازه القرآن الكريم والسنة المطهرة ، فكل ما جاز بيعه جاز رهنـه قال الله تعالى : « وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضـة » .
وورد أن النبى صلى الله عليه وسلم رهن درعه عند يهودى على ثلاثين صاعا من شعير لأهله وقد أجمع العلماء على جواز الرهن بشروط معينة توسعت فى ذكرها كتب الفقه الاسلامى .
وبهذا يجوز لك أن ترهن الارض الزراعية للبنك ولا يجوز للبنك ان يأخذ فائدة من وراء قرضه لك . فكل قرض جر نفعا فهو ربا كما لا يجوز للبنك أيضا أن يستغل الارض ويأخذ الناتج منها ، فالمنفعـة تعود إليـك ولا حق للبنـك فى استغلالها ، وليس للبنك الا حبس العين حتى يسترد القرض منك .



للدكتور فؤاد عبد المنعم

تمهيد :

ان قوام المجتمعات الصالحة قديما وحديثا ، أساسه العدل بين الأفراد ، وسبيله الحكم بين الناس ، وقد قيل العدل أساس الملك ، ويتحقق العدل بحسم الخصومات والمنازعات وايصال الحقوق الى أصحابها ، بمقتضى الأحكام الشرعية المستقاة من الكتاب والسنة ، والتشريع الصادر من ولى الأمر فيما لا يخالفهما .

وقد اهتم العلماء المسلمون ببحث شروط القاضى وكيفية تعيينه ، وانفرد الماوردى بدراسة التنظيم القضائى وتأسيسه ، وفى دراسة ذلك التنظيم ما يصل بين حاضرنا وماضينا ، وبالمقارنة بينه وبين الأنظمة الحديثة ، يتضح لنا مدى أصالة شرعنا ، وعمق تفكير مفكرينا ، ومدى اسهامهم فى رقى الانسانية واسعادها .

وفى القاء أضواء سريعة على شخصية الماوردى ما يعين على الالمام بالتنظيم القضائى ، وما يجب أن يتصف به القاضى فى نظره ، وهو السياسى البارع ، والكاتب الأديب والفقيه المجتهد ، وعمدة القضاء فى عصره .

معالم حياته :

● هو ابو الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى ، ولد بالبصرة عام ٣٦٤ هـ ـــ ٩٧٤ م من أسرة تنتمى الى بيع ماء الورد .

والتنظيم القضائي في عصره

● وصل الى بغداد وتعلم بها ، وعلم فيها ، واشتغل بالقضاء فى البصرة ، وبغداد ، حتى وصل الى منصب أقضى القضاة فى سنة ٤٢٩ هـ ـــ ١٠٣٧ م ، وقد نتج عن اشتغاله بالقضاء انه درس واقع حيـــاة الناس ، ومشاكلهم ، والتعمق فى دراسة الأحكام الفقهية والافادة منها فى اصدار احكامه .

● كان قريبا من الخلفاء والوزراء ، وسفيرا بينهم ، وبين خصومهم السياسيين ، وقد ساعدته تلك القربى على أن يكتب فى السياسة كتابات كان لها اثر كبير فى الفكر السياسى الاسلامى من بعده . وكان اديبـــا لغويا كتب كتابات ممتعة(١) فى تاريخ الادب العربى ، كما كتب فى الأخلاق والتربية ، كما كانت له بعض النظرات الصائبة فى بعض الاحاديث ، ووثقه فيهـــا بعض علماء الجرح والتعـــديل ، وكان فقيهـــا شافعيـــا مجتهدا ينهج نهجا علميا يكاد يكون حديثا فيعرض لوجهات النظر المتعارضة والمختلفة فى المسألة ويرجح بينها ، وينتهى لرأى يرى فيه وجه الحـــق والصواب ، حتى انتهت اليه زعامة الشافعية فى عصره .

● انفرد فى تفسيره ببعض الاتجاهات التى تدل على أصالة وعمـــق فى التفكير .

وتتميز جميع كتاباته بأسلوب واضح بليغ ينتقى الفاظه ومعانيه ، ويؤلف بينها كأنها شعر منثور .

● وكان اخلاقيا فى سيرته ومعاملاته بين الناس ، وعمر طويلا فعاش ستا وثمانين سنة ومات سنة ٤٥٠ ـــ ١٠٥٨ م ودفن ببغـــداد بباب حرب .



الماوردى القاضى :

لم نجد فى كتب التراجم العامة او الخاصة بالقضاة ما يفيد كثيرا عن الماوردى كقاض ، وليس امامنا الا ما كتبه الماوردى نفسه عن القاضى وما يشترط فيه ، ومن خلال ما كتب يمكن أن نستشف شخصية الماوردى كقاض وصل الى درجة قاضى القضاة ، يتولى تعيين وعزل القضاة ، ويتفقد أحوالهم ، ويراجع أحكامهم .

شرط القاضى فى نظر الماوردى :

يضع الماوردى مقاييس خاصة ، لا بد وأن تنطبق على كل من يتولى القضاء :

١ ــ يقصر تلك الوظيفة على الرجال دون النساء مستندا لقول الله تعالى فى سورة النساء آية ٣٤ ((**الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض**)) ولقول النبى صلى الله عليه وسلم « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » رواه البخارى والترمذى والنسائى : ص ٧ من المعجم المفهرس لألفاظ الحديث .

٢ ــ أن يتوصل بذكائه الى ايضاح ما أشكل وفصل ما أعضل وان يكون صحيح التمييز فطنا ذكيا بعيدا عن السهو والغفلة .

٣ ــ أن يكون حرا مسلما ويستدل بقول الله تعالى ((**ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا**)) (الآية ١٤١ من سورة النساء) .

٤ ــ أن يكون عدلا ، والعدالة معتبرة فى كل ولاية فيكون صادقا أمينا عفيفا عن المحارم .

٥ ــ السلامة فى السمع والبصر ليصح بهما اثبات الحقوق ، فان كان ضريرا فولايته القضاء باطلة .

٦ ــ أن يكون عالما بالأحكام الشرعية وهى الكتاب والسنة والاجماع والقياس ، ويستدل بقول معاذ بن جبل حين أرسله النبى الى اليمن وسأله : « بم تحكم ؟ » قال بكتاب الله ، قال فان لم تجد ؟ قال بسنة رسول الله . قال فان لم تجد ؟ قال أجتهد رايى . فقال : « الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى الله ورسوله » (رواه أبو داود وأحمد : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث حـ ٧ ص ٢٦٦) .

ويجوز للقاضى أن يأخذ بأى مذهب من المذاهب تأكيدا لمعنى الاجتهاد الذى يجب أن يكون للقاضى فى **جميع أحكامه** .

حكم تولى القضاء بالرشوة :

أبطل الماوردى تعيين أى قاض تقدم لهذه الولاية عن طريق الرشوة . لأن الباذل لها والقابل لها مجروحان ، وكانت الرشــوة قد انتشرت فى الدولة العباسية ، ويستند لقول النبى عليه الصلاة والسلام (لعن الراشى والمرتشى والرائش) رواه ابن حبان والحاكم عن أبى هريرة ــ الترغيب والترهيب حـ ٤ ص ٢٣١ كتاب القضاء .

منع القاضى من قبول الهدية :

وليس لمن تقلد القضــــــاء أن يقبل الهـــدية من خصم ولا من احد العاملين معه . ويرى الماوردى أن الهدية اذا أخذها القاضى فعليه أن يعجل بدفع قيمتها الحقيقية لصاحبها حتى تصبح ملكــه . وان تعذر ردهـــا أورد قيمتها : ردت لبيت مال المسلمين .

المتخصص فى القضاء :

ومن تنظيمات الماوردى للقضاء أن تكون هناك محاكم خاصة لــكل نوع من أنواع القضاء ــ وهو ما يطلق عليه حديثا الاختصاص النوعى ــ فيقول « كأن يرد الى احدهما نوع من الأحكام والى الآخر غيره ، كرد المداينات الى أحدهما والمناكح الى آخر فيجوز ذلك ، ويقتصر كل واحد منهما على الحكم الخاص عن البلد كله » .

ويوجه النظر أيضا الى تكوين محاكم تتمايز بشخصيتها ، اذا تميز من يقدم اليها بنزعاتهم الخاصة « يجوز أن يكون تقليد القاضى مقصورا على بعض الأهل دونهم جميعا اذا تميزوا عن غيرهم » كما فى المحاكم العسكرية ، كما جعل لكل جهة قاضيا خاصا بتلك الجهة ــ ويعرف حاليا بالاختصاص المكانى ــ حتى لا يتحمل المدعى والمدعى عليه مشقة الانتقال من مكان الى آخر .

سرعة الفصل فى القضايا :

ومما يلفت الانتباه اهتمام الماوردى بما نعانيه الآن فى محاكمنا ، وهو عدم البت بسرعة فى القضايا فيقول « ليس للقاضى تأخير الخصوم اذا تنازعوا اليه الا من عذر » .



استقلال القضاء :

وجعل الماوردى للقضاء جهازا مستقلا يسمى (ديوان قاضى القضاة) يختص بأمور القضاة والعاملين معهم فأصبح للقضاء استقلاله فى مواجهة الخليفة والأمراء والعاملين معهم . فليس لأحدهما حق عزل القاضى ، وانما العزل لأقضى القضاة عند ظهور الجرح أو الخيانة أو عدم ثبوت الكفاءة .

خاتمة :

ونختتم بحثنا بفتوى للماوردى تكشف عن قوة شخصيته ، وأثره فى العهد العباسى الذى عاش فيه . فقد أفتى القضاة بجواز تسمية الوزير جلال الدولة (شاهنشاه) أى ملك الملوك ، وكان من القضاة الذين جوزوا هذه التسمية : أبو الطيب الطبرى (٤٥٠ هـ) والقاضى البيضاوى (٤٥٠ هـ) وأبو القاسم الكوفى ، وغيرهم ، ولكن لم يوافق الماوردى على تلك التسمية . واستند الى حديث النبى صلى الله عليه وسلم « ان أخنع اسم عند الله . رجل تسمى ملك الأملاك ، لا ملك الأملاك الا الله » رواه الشيخان عن أبى هريرة — الترغيب والترهيب حـ ٤ ص ١٤٠ كتاب النكاح .

وكانت توجد علاقة طيبة بينه وبين جلال الدولة ، فهو من أخص الناس قربا منه ، وكان يتردد على داره ، فامتنع عن زيارته ولزم داره . فأرسل اليه جلال الدولة وقال له : قد علم كل أحد أنك من أكثر الفقهاء مالا وجاها وقربا منا . وقد خالفتهم فيما خالف هواى ، ولم تفعل ذلك **الا لعدم المحاباة منك واتباع الحق** ، وقد بان لى موضعك من الدين ومكانك من العلم ، وجعلت جزاء ذلك بأن أدخلتك الى وحدك ، وجعلت اذن الحاضرين اليك ليتحققوا عودى الى ما تحب .

---

(١) كتابات ممتعة مفيدة .



طرق إنهاء الزوجية في الشرائع السماوية

للدكتور احمـد الحجى الكردى

كان مما يأخذه على الاسلام بعض المفكرين الغربيين يلف يلفهـم من مثقفى وشباب العالم المتمدين اباحته للطلاق الذى يعنى انهـاء الحياة الزوجية الفاشلة بين الزوجين ليتمكن كل منهما من استئناف حيـاة زوجية جديدة قد تكون أكثر سعادة من الحيـاة الزوجية الاولـى التى ثبت فشـلها .

ويشن هؤلاء الناس الحملة أثر الحملة على هذا المبدأ متهمين الاسلام بالتخلخل ، والدعوة الى فك عرى المجتمع الواحد ، وخلق روح التمرد بين الزوجين ، الى غير ذلك من التهم الباطلة .. وهم فى نفس الوقت يشيدون بالمسيحية التى تمنع حل الزواج بأيـد بشرية بعد أن عقـده الله فـى



السماء ـ على حد زعمهم ـ استنادا الى كرامة هذا العقد وخطورته ، وذلك إن دل على شيء فانما يدل على عدم وعي وعدم اتزان من قائليها ، والى تعصب أعمى منهم .

وايا ما كان الامر والحق فقد دارت دفة الزمن وبدأ هؤلاء الناقدون للاسلام يستشعرون الخطأ الفاحش الذى كانوا يقعون فيه . وذلك بعد أن عمت الفوضى فى مجتمعاتهم وانتشر الزنا فى ربوعهم مما اضطر السلطات المحلية فى أكثر من بلد أوروبى الى الاعتراف بالأولاد غير الشرعيين نزولا عند الامر الواقع ، وحتى أصبحت المخاللة أمرا مشروعا لديهم يحميه القانون والدولة . الى غير ذلك من الامور التى لا يمكن أن تقوم بها مدنية أو يرضى بها ذو عقل أو علم محترم لعقله وعلمه .

ولهذا فقد قام المصلحون والمفكرون فى أوربا المسيحية أخيرا ينادون بالأخذ بمبدأ اباحة الطلاق بين الزوجين ، فانه على مافيه من ضرر أقل خطرا وادنى شرا ـ على حد تعبيرهم ـ من تلك المشاكل التى لا تنتهى والتى يسببها منع الطلاق .

وقد بدأت فى العصور المتأخرة بعض الحكومات الأوربية بل رجال الدين المسيحى أيضا يستجيبون لهذه النداءات استشعارا منهم بالمصلحة الغالية فياباحة حل الزواج، وبذلك يكونون قد رجعوا الىالاتجاه الاسلامى فى اباحة حل الزوجية اذا ما تعذرت استدامتها ، وان هذا الانهاء على ما فيه من ضرر خير بكثير من استدامة حياة زوجية فاشلة بالنسبة للزوجين والمجتمع معا .

واننى فى هذا المقال سوف احاول بايجاز استعراض موقف الشرائع الثلاث الاسلامية والمسيحية واليهودية من مبدأ امكان انهاء الحياة الزوجية بعد قيامها صحيحة ، وطرق هذا الانهاء ، ومنه سوف يتبين لنا بجلاء الحكمة الغالبة والعدالة التامة فى الاحكام التى أحاط ونظم بها الاسلام هذا الانهاء ، متفوقا بذلك على كل شريعة مضت ، ولم لا ؟ فهو شريعة الله خالق البشر العالم بخفايا نفوسهم ، هذا مع الانتباه الى أننى أعنى بالشريعتين المسيحية واليهودية هنا ما يتعارفه ويتاوله الآن اليهود والنصارى من أحكام بقطع النظر عن صحة نسبة هذه الاحكام الى اليهودية أو النصرانية اللتين أنزلهما الله سبحانه على سيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهما السلام .





١ ــ موقف الشريعة اليهودية من مبدا امكان انهاء الحياة الزوجيـة وطرق هذا الانهاء :

تاخذ اليهودية بجميع فرقها بمبدا امكان انهاء الحياة الزوجيـة ، وتجعل ذلك مباحا لسبب أو غير سبب ، ذلك بأنها تبيح للزوج أن يطلق امراته لمجرد انه احب امراة اخرى غيرها او غير ذلك .

ولكن من صاحب الحق فى انهاء الزواج هنـا ؟ أهـو الزوجة ، أو الزوج ، أو القاضى ، أو رجل الدين أو غيرهم ، أو ان هذا الحق ملك لكل أولئك جميعا يستطيع كل منهم بمفرده أن يمارسه ؟ .

الذى بين أيدينا من أحكام اليهودية ونصوصهـا يدل علـى أن حق انهاء الحياة الزوجية ملك للزوج لا غير ، فلا يملك القاضى ولا الزوجة ولا احد غيرهما طلاق الزوجة من زوجها لأى سبب كان .

وبذلك تكون اليهودية فى هذا قد اعتبرت الزوج وحده هو صاحب الامر والنهى فى الاسرة منسجة فى ذلك مع اخذها بمبدا احتقار المـراة واعتبارها أداة ترفيه فقط للرجل ، وفى هذا من العسف والعنت ومجافاة العدالة ما فيه ، لان الزوج كثيرا ما يكون هو مصدر الأذى والبلاء علـى الحياة الزوجية ، وتكون الزوجة هى المتضررة مـن ذلك ، وقد يكـون الأولاد هم المتضررون من استدامة الحياة الزوجيـة هذه ، أو المجتمـع كله المتضرر من ذلك ، مما يستدعى تدخل القاضى الـذى يعتبر الحامـى لحقوق المجتمع عامة ، ومع هذا كله لم تبح اليهودية ذلك لغير الزوج .

٢ ــ أما المسيحية فانها فى عامة فرقها ومللها كانت ترفض التسليم بمبدا اباحة انهاء الحياة الزوجية بأيد بشريـة ، وتعتبـر أن عقـد الزواج عقد دينى مقدس عقده الله فى السماء وما كان كذلك فلا يجـوز لأيـد بشرية أن تحله على الأرض سواء أكانت تلك اليد هى الزوج أو الزوجة أو القاضى أو رجل الدين أو غير ذلك .

هذا حكم المسيحية قبل بضعة قرون ، ولكن الأمر تغير فى القرون الاخيرة بعض الشىء ، بتأثير الضرر الكبير الذى جره هذا المنع علـى العلائلات المسيحية ، وبسبب الصيحات المتعددة التى رفعها المفكرون





والباحثون والعلماء المسيحيون ينادون فيها بالأخذ بمبدأ اباحة الطـــلاق كما بينت فى مقدمة المقال .

ولهذا فقد اتجه المشرعون المسيحيون فى القرون الأخيرة نحـــو الأخذ بمبدأ إباحة الطلاق ولكن بشروط وقيود كادت تقضى على ما فيه من مزايا كلية .

الا ان هذا الاتجاه على كل حال يختلف إغراقا ونحفظا من ملة الى اخرى من مللهم وطوائفهم ، فبينما يوغل البروتستانت على اختـــلاف طوائفهم فى الأخذ بهذا المبدأ يتوقف الأرثوذكسى فى اباحته عنـــد حـــدود اسباب قليلة تكاد لا تعدوا أصابع اليد الواحدة ، وأما الكاثوليك فانهـــم يتأخرون عن غيرهم كثيرا ، وهم الى اليوم يعتبرون الطلاق محرما الا لسبب واحد تقريبا هو الزنا ، كما يشترطون لايقاعه شروطا قاسية جدا تكاد تغلق الباب أمام وقوعه مطلقا .

لكن كثيرا مّن الحكومات الأوربية والامريكية المسيحية لم تأبـــه تشريعاتها المدنية لقيود رجال الدين وشروطهم على اباحة الطلاق ، ولذلك فقد اباحت الطلاق وفتحت أبوابه على مصراعيها دون قيد أو شرط الـــى ان غدا الطلاق العوبة بأيدى الزوجين تجر على الأولاد والمجتمع أمـــر انواع الأسى .

واذا تساءلنا هنا من صاحب السلطة فى ايقاع الطلاق عنـــــد المسيحيين ، اهو الزوج أو الزوجة أو القاضى أو غيرهم لكان الجواب بأن صاحب السلطة فى ذلك هو رجل الدين لا غير ، فانه ليس للزوج والزوجة من الامر الا رفع الامر الى رجل الدين مـــع بيان الأسبـــاب الدافعة الى الطلاق ، ثم بعد ذلك يكون الأمر لرجل الدين أن شـــاء طلق وان شاء حكم بالأبقاء على الزوجية الفاشلة وعندها لا يكون للزوجين إلا الصبر على ذلك البلاء الذى لا يمكن أن يعود على الأســرة والمجتمـــع بالخير أبدا ، وطبيعى ان رجل الدين هذا لا يمكن أن يحكم بالطلاق بيـــن الزوجين الا اذا ثبتت لديه الأسباب ، وذلك ما يدعو الزوجين الى كشف كثير من الأسرار التى لا يعود كشفها على المجتمع الا بأشد أنواع الضرر ، فضلا عما يجره ذلك من دفع كل من الزوجين الى الافتراء على الآخر بما يضمن فصله عنه إن هو أراد ذلك وفى هذا من الشر ما فيه .





٣ ــ أما الاسلام فانه سلك مسلكا وسطا بين الشريعتين السابقتين عليه ، حيث أخذ بمبدأ إمكان التفريق بين الزوجين وذلك عندما تصبح الحياة الزوجية متعذرة أو متعسرة غير منتجة لما كان مرجوا منها من سكن نفسى وود بين الزوجين ، سواء أكان المتسبب فى ذلك هو الزوج أو الزوجة ، أو كان سبب ذلك التعسير أمرا خارجا عن اختيارهما كما فى إعسار الزوج عن الانفاق على زوجه أو غيبته الطويلة أو فقده أو غير ذلك ، لأن الحيـاة الزوجية التى لا تنتج المرجو منها يكون حلها ــ دون شك ــ افضل مـن الابقاء عليها بالنسبة للزوجين والمجتمع على ما فى هذا الحل من ضـرر كبير ، الا انه اخف الضررين على كل حال .

والآن بيد من يكون حل الزواج فى الاسلام ؟ بيد الزوج أو بيد الزوجة أو القاضى أو غيرهم ؟ . .

والجواب أن الاسلام أعطى حق التفريق هنا لكل من الزوج والزوجة والقاضى كل فى حدود ما يصيبه من ضرر ، فان كان الضرر الناتج عـن الحياة الزوجية واقعا على الزوج بسبب الزوجة أو غيرها كان حق حله للزوج بالطلاق ، وان كان الضرر واقعا على المرأة كان لها حق حله برفع الأمر للقاضى وطلب التفريق منه ، وان كان الضرر واقعا على الاولاد أو المجتمع ، كان أمر حل الزواج للقاضى الذى يعتبر المسؤول عن حمايـة المجتمع ومصالحه ، فيحكم بالتفريق بين الزوجين دون طلب منهما رعاية لحق الاولاد والمجتمع كما فى التفريق لفساد العقد أو حلول الحرمة بيـن الزوجين وغير ذلك .

وبذلك نرى أن الاسلام اتجه نحو الحل الصحيح فى هذه المشكلة ، وكان حله هذا وسطا بين اطلاق اليهود وتشدد المسيحيين ، كما أنـه كان الحل العادل حيث أعطى كل الاطراف المتضررة من استدامة الحيـاة الزوجية الفاشلة حق حلها كل فى حدود ما تضرر منه ، على خـلاف اليهودية التى حصرت هذا الحق فى الزوج خاصة ، والمسيحية التـى منعت منه أصحاب المصلحة الحقيقية واناطته برجل الدين لا غير تمشيا مع منطقها الخاص فى اخضاع الناس جميعا لسلطة الكنيسة ورجالها .

وصدق الله سبحانه وتعالى حيث يقول : « **وكذلك جعلناكم امـة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكـم شهيدا** » .





اعداد : عبد الحميــــد رياض

صفات الانبياء فطريـــة

هل يكتسب الأنبياء الصفات التي يبدون عليها عندما يوحى إليهم أم هى فطــرية فيهــم ؟

أحمد محمد مصطفى ـ الاسكندرية

ليس من شك فى أن الله يهب بعض الناس مواهب خاصة ، فتجد العالم مثلا وقد انكب على قراءات ما يتصل بالعلوم ، والرسام وقد بهر منذ حــداثة سنه بالألوان والرسم ، والشاعر وقد توقدت قريحته وبدت بشائر إنتاجه وحبه وانكبـابه على الشــعر عنــد بداية خطــواته الأولى عــلى ســلم الحيــاة الفكرية ، وهكذا نجد ان الله هيأ لكل شيء أسبابه حتى يسعد الناس فى حياتهم .

والنبى الذى يبعث فى الناس حب الخير ويفتح أمامهم الطريق الى الله موهوب من الله الحكمة وفصل الخطاب مهيأ منذ نعومة أظفاره لحمل رسالته .

وسيرة الأنبياء تشهد على هذا فنجدهم وقد باعد الله بينهم وبين الرذائل فهم بطبيعتهم منكبون على العبــادة يقول سبحانه لسيدنا موسى : (**واصطنعتك لنفسى**) والرسول صلى الله عليه وسلم نراه وقد لقب بالأمين ، واعتزل مجــون قريش وسمرهم بعيدا فى الغار يتحنث ، وسيدنا عيسى وقد قال الله فيه حكاية عنه : (**قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا . وجعلنى مباركا اين مــا كنت واوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا . وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبــارا شــــقيا**) وكان لم يزل فى المهد ، وسيدنا ابراهيم وقد نقى الله عقيــدته من الزيف والضلال منذ نشأته . وهكذا كل الأنبياء صورة صافية نقية جبلهم الله عليها فلما أوتوا الرسالة جاءتهم وهم على أحسن ما يكونون خلقــا واستعدادا وتقبــلا (**الله أعلم حيث يجعل رسالته**) ولذلك فكل الأنبياء أهل للتكليف صنعهم الله على عينه ، واصطفاهم وطهرهم ونقى اصولهم ، والصفات التى يتحلون بها لا شك أنها فطرية فيهم أظهرتها وكشفت عن معدنها الأصيل فيهم الرسالة ، فما من نبى إلا وقد برزت فيه صفات الصدق ، والأمانة ، والحلم ، والفصاحة ، وبشكل غير عادى ، ومن هنا وجب على الناس طاعتهم فى كل ما يأمرون به أو ينهون عنه لأنهم لا ينطقون عن الهوى ، وعدم فهم الناس لما يدعون ، وعدم إيمانهم بما يقولون ليس ذلك لعيب فيهم عليهم الصلاة والسلام ، ولكن العيب والقصــور فى فهم النــــاس .

والأنبياء بعــد بلوغ سن معينة يكلفون بهداية الناس وينطقون بأشياء لا يمكن أن ينطقها بشر عادى غير سوى الخلقة والنشــأة ، لهذا فالنبى إنســان اصطفاه الله ، واعده لحمل رسالته بطريقة خاصة هى قمة الاكتمال البشرى ، فهم اولا واخيرا بشر لكنهم الصفوة فيهم والخيرة منهم .

والإمام البوصيرى يقول فى الرسول صلى الله عليه وسلم :

فمبــلغ العــلم فيه أنه بشــر وأنه خير خلق الله كلهم

وغاية الاعجاز فيهم أنهم من البشر لهم صفات متميزة عن سائر البشر : (انمــا أنا بشر مثلكم يوحى إلىّ انما إلهكم اله واحد) .

الهجــــرة والانتصــــار

لماذا تسمي الهجرة انتصارا ، هل يجو زنلك مع العلم أن الهجرة تمت سرا ولم يحـــدث فيها قتـــال ؟

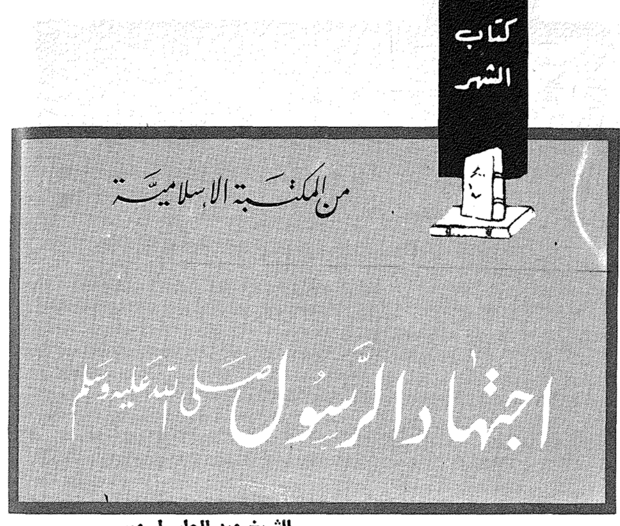
محمد عاطف الكاظمى ـــ العراق

حقيقة أن الهجرة تمت سرا ، والسرية فيها لم تكن هروبا من المشركين ، ولكن زيادة فى ضرب الغشاوة على ابصـــارهم **(فاغشيناهم فهم لا يبصرون)** وإثباتا لهم أن محمدا ما هو إلا رسول مكلف برسالة من عند الله ، ولكن الحقـــد طمس قلوبهم ، فلم يروا النور الذى عم الجزيرة ، ولو فكروا قليلا لعلموا حقيقة ما يجهلون .

إن جـــوانب العظمة فى الهجرة كثيرة أجـــل من أن تحصى أو تحصر ، ويجب أن نأخذ منها العبرة تلو العبرة .

إنها تعبير صادق عن الرفض للاستسلام والذل والمهانة ، ودرس رائد لكل الأجيال يدعوهم كل عام حتى لا تفتر الهمم الى البذل والعطاء بسخاء والتضحية من أجل العقيـــدة .

ولقد كانت الهجرة نصرا للحق ، واعلاء لكلمة الله دون قتال ، وكانت مثلا عاليا فى حرص القائد العظيم ، والرسول الكريم ، وشدة خوفه على الـــدعوة واستمساكا بأصحابه الذين مكث يدعـــوهم فى مكـــة ثـــلاث عشرة ســـنة فهم لا شك خيرة القوم ، ولذلك بحث الرسول الكريم لهم عن موطن يأمنون فيه على أنفسهم وأهليهم ودينهم ، كى يمارسوا عبادتهم دون خوف ولا وجل فى جوار إخوان لهم أوفر منعة ، وفى مدينـــة أكثر أمنا من مدينتهم الحبيبة التى أخرجوا منها ، ولم يكن خروجهم ضعفا أو خوفا من الاضطهاد ، ولكنهم آثروا يثرب لكى يحققوا الهدف الأسمى من هجرتهـــم ، ويعيـــدوا الأرض الطيبـــة الى رحاب الإيمان التى قال فى شأنها الرسول صلى الله عليه وسلم : (والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله الى الله ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت) هذا هو شعور كل المسلمين عند خروجهم من مكة ، والناظر المتأمل فى الهجرة يجد انها مكنت المسلمين من تجميع صفوفهم مع اخوان لهم آووهم ونصروهم بالمال والنفس ، وقد كانت الهجرة نصرا من الله للوجود الانسانى فى ظل الاسلام : **(إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فانزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم)** لقد كانت الهجرة صورة حية من صور التصميم على المضى فى سبيل الله الى أبعد طريق ، وكانت الهجرة تعبيرا عن القوة الكامنة التى فجرها الإيمان ، وكانت آية على سمو روح المعتنقين للاسلام ، وكانت فتحا مؤزرا ، وخلاصة القول أن الهجرة كـــان لا بـــد منهـــا لقـــوم ارادوا التمســـك بدينهـــم ، ففتـــح اللـــه عليهـــم الأرض واعـــز بهم كلمـــة الله ، ومكن لهم فى الأرض ، فكانوا مضرب الأمثال فى الدفاع عن العقيـــدة ومثلا يحتذى فى الذود عن دين الله الحق ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .



للشيخ عبد الجليـــل عيسى
عرض : الأستاذ على على عياد

الإسلام عقيدة وشريعة .. والعقيدة هي : جناح الإسلام النظرى الذى يطلب الإيمان به أولا ، إيمانا لا يرقى اليه الشك .

والشريعة هي : الجناح العملى الذى شرعه الله لعباده ، **ليقيموا به** العلاقة السليمة بينهم وبين خالقهم ، وبينهم وبين الكون بما **فيه من كائنات ..** وما يربطها من علاقات .

والعقيدة إيمان .. والشريعة عمل ، ولكل منهما اصول وفروع **.. ومن بين العقائد الأصلية** التى طلب الاسلام الإيمان بها :ـ

الإيمان بالله ووحدانيته ، وتفرده بالخـلق والتصرف ، وتنزهــه عن المشاركة فى العزة والسـلطان ، والمماثلة فى الذات والصـفات ، وتفرده باستحقاق العبادة والتقديس ، والاتجاه اليه بالاستعانة والخضوع ، فلا خالق ولا مدبر غيره ، ولا يماثله مما سواه شىء ، ولا يشاركه فى **سلطانه وعزته** شىء ، ولا تخضع القلوب وتتجه الى شىء سواه (١) .

« قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفوا احد » (سورة الاخلاص) .

« قل أغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم قل إنى أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين » آية ١٤ الأنعام.

« قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك

امرت وانا اول المسلمين . قل اغير الله ابغى ربا وهو رب كـل شىء » ١٦٢ ، ١٦٤ الأنعـام .

ولعل اهم النتائج التى يريد ان يصل اليها فضيلة الشيخ **عبدالجليل عيسى** فى كتابه « اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم » هو التأكيد على المعنى الذى قررناه سابقا .. وهو ما يتصل بعقيدة التوحيد .. وتفرد الله وحـده بالكمـال ، واستحقاقه دون غيره من الموجـودات تقديس المخلوقين له ، وعبادتهم إياه والتفريق الواضح بين مقام الالوهية ... ومقام النبوة والعبودية وهو ايضا المعنى الذى ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاهد فى سبيله جل حياته .. حتى أرسى أصوله ، ودعم بناءه ، وأحاطه بسياج قوى من قوله وعمـله .

وكانت الدعوة الى التوحيد ـــ فيما يقول المؤلف ـــ امارة صدق الداعى اليها على انه رسول الله ، ودليل صدق الدين المؤسس عليها على انه دين الله.

ولقد كان محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو الداعى لذلك على هـذا النحو ، لا يطلب لنفسه ميزة خاصة غير انه رسول الله ، ولا يطلب لنفسه تقديسا من اتباع رسالته ، كما لا يطلب لقوله فى غير حدود الدعوة التى امر بتبليغها الى الخلق عصمة مطلقة ، ولتصرفاته فى غير دائرة هذه الدعـوة تنزيها عاما ، وتركزت عنايته عليه السلام ـــ فى تبليغ رسالة الله ، وحمل الناس على الاعتقاد بإله واحد .. له وحده حق العبادة والتقديس .. وهو بهذا المعنى يقدم التوجيه السديد للبشرية ، ويبتعد بها عن خرافات المصادفة واساطير الزعماء الانسانيين ... كما أن ذلك يؤدى الى شعور الفرد بحريته الفردية وكرامته الانسانية فى ظل وصايا الله من اوامر ونواه تنطوى بالتأكيد على خير البشر جميعا .

وهكذا حرص صلى الله عليه وسلم ، على تأكيد عقيدة التوحيد ، ولم يستهوه أن يرى من المؤمنين به وبدعوته نوعا من الاكبار لشخصه يبتعد به عن صفة الانسان ، وحذر بشدة من أن يجر تعظيمه الى الوقوع فى الشرك ، لذلك نراه يرد على من قال امامه : إذا شـاء الله وشئت يا رسـول الله . « **بقوله أتجعلنى لله ندا ؟** » وفى مناسبة اخرى يقول لبعض أصـحابه : « **لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم ، فانما أنا عبده ، فقولوا عبد الله ورسـوله** » .

ولقد شاءت إرادة الله ان يكون فى كل جيل انسانى من يبين لخاصـة المؤمنين قبل عامتهم أهداف الاسلام الأساسية وفى مقدمتها علاقة الرسول عليه السلام بالله جل جلاله .. وقد سعد جيلنا بقلم العالم المؤمن فضيلة الشيخ **عبد الجليل عيسى** الذى قدم للمكتبة الاسلامية خير ما يدل المؤمن على العقيـدة الصحيحة البعيدة عن كل شبهة وزيف .. وفى كتابه الذى نعرض له تناول جانبا من جوانب علاقة الرسول بربه فى ضوء ما جاء به القرآن ، وصح من سنته صلى الله عليه وسلم ، هذا الجانب هو : **قول الرسول عليه السلام ، وعمله خارج دائرة الرسالة الإلهية** .

والأستاذ المؤلف يبغى من وراء ذلك ـــ كما قلنا ـــ أن يؤكد ما اكـده الاسلام من أن محمدا عبد الله ورسوله ، وانه فيما وراء الرسالة كان إنسانا .. فله العصمة فيما أرسل به للناس من قبل الله ... من وحى متلو وغير متلو ، وله حكم الانسان المجتهد فيما أتى به من قول أو فعل بعد ذلك .

وكما يقول المؤلف ـــ فان هذا الازدواج فى النظرة الى رسول الله لا يغير

من تقديره واحترامه فى نفوس المؤمنين بدينه .. فالرسول صلى الله عليه وسلم إذا أضيف الى الخلق كان فى السماكين ، وكان الجميع يدب على سطح هذه الغبراء ، واذا أضيف الى ربه صاحب الفضل عليه كان بشرا ككل البشر ، خاضعا لله تعالى الذى اختص بالكمال وحده (٢) . والاجتهاد — إذاً — مظهر من مظاهر الانسانية فى الرسول ، فهو قبل الرسالة وبعدها يأكل كما يأكل الناس ، وينسل كما ينسلون ، ويدفع عن نفسه ضرر الجوع واعتداء المعتدى ، وقد مات كما يموت كل الناس ... وخاض الحياة فى جميع نواحيها وعالج كل صعابها ..

لكن ... ما رأى العلماء فى جواز اجتهاد الأنبياء ..؟

اختلف العلماء فى ذلك إيجابا وسلبا ، وقد عرض الأستاذ المؤلف لوجهة النظر التى تنكر الاجتهاد على الأنبياء ، كما عرض لوجهة النظر المقابلة والتى ترى أن الاجتهاد — كما قلنا — مظهر من مظاهر الانسانية فى الأنبياء .

ويمثل المعارضة أبو على الجبائى وابنه هاشم ، ودليلهما قوله تعالى « وما ينطق عن الهوى » ويفند المؤلف هذا الدليل فيذكر أن الجبائى اقتطع هذه الآية عن سابقتها ولاحقتها وقذف بها فى آذان الناس فصارت تلوكها السنتهم بدون فكر وروية ... فسياق الآية يدل كما فهم كبار المحققين على أن الكلام فى القرآن ، وأن المراد ... ان هذا القرآن الذى يتلوه عليكم محمد ليس من عنده ، بل هو وحى يوحى اليه من الله ... ويستمر المؤلف فى المناقشة حتى يصل الى عدم حجية هذا الرأى .. ثم يقف بالقارىء على آراء المجوزين لذلك ويذكر منهم ... ابن حزم الأندلسى ، وابن تيمية ، والقاضى عياض ، وابن خلدون ، والكمال بن الهام ... وكلهم متفقون على الجواز وإن اختلف تناولهم للموضوع أسلوبا ومناقشة ... فالرسول صلى الله عليه وسلم ، قد يعتقد الشىء من أمور الدنيا على وجه ثم يظهر خلافه كما فى حديث « تأبير النخل » المروى عن مسلم عن رافع بن خديج . فى باب : وجوب امتثال ما قاله صلى الله عليه وسلم شرعا دون ما ذكره من معايش الدنيا على سبيل الرأى .. قال : قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يؤبرون النخل فقال : ما تصنعون ؟ قالوا : كنا نصنعه ، وفى رواية أخرى فقالوا : يلقحونه .. الى آخره .. « لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا » فتركوه فنفضت — أى رمت ما عليها من الثمر قبل نضجه — قال : فذكروا ذلك له صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنما أنا بشر ، اذا أمرتكم بشىء من دينكم فخذوا به ، واذا أمرتكم بشىء من رأيى فانما أنا بشر » . وفى رواية أخرى لمسلم : « .. ولكن اذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوا به فانى لن أكذب على الله عز وجل » .

وليس فى هذا نقيصه — كما يقول القاضى عياض فى الشفاء (٣) ، إنما هى أمور اعتيادية يعرفها من جربها ، وشغل نفسه بها ، وهو صلى الله عليه وسلم مشحون القلب بمعرفة الربوبية (٤) .

وننتقل مع المؤلف من الباب الأول الى الباب الثانى بفصوله الثلاثة حيث يتحدث فيه عن اجتهاد نبينا صلى الله عليه وسلم ، وموضوع هذا الاجتهاد وأوصافه فى صوره المختلفة ... الظن ، والقطع ، والتمنى ، والهم من دون الفعل ، والطلب ، والأذن ، والدعاء ، وتفضيل الترك على الفعل ، وفى النهى العام ، وفى الاستغفار لبعض المنافقين .

وامام كل صورة من هذه الصور يقدم المؤلف الأمثلة عليها ، ويناقشها ، ويبين ما فيها من اجتهاد له صلى الله عليه وسلم ، ثم يتحدث بعد ذلك عما بدا من اجتهاده عليه السلام ، فى صورة العمل كأخذه الفداء من أسرى بدر .. الخ . ثم ما بدا من اجتهاده فى صورة الاقرار او عدم الاقرار لآراء اصحابه رضوان الله عليهم ، كاجتهاده عليه الصلاة والسلام فيما يكون به الاعــلام للصــلاة ... الى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة التى تعقبها أستاذنا بالشرح والتحليل ، وقدم لها بما يمكن أن يكون نتيجة لبحثه فى الباب الثانى معلنا أن القارىء سيعلم من عرض هذه الصور النقاط التالية التى وضعها فى صورة استفهام اجاب عنه فى خاتمة الكتاب كما سيأتى :

أكان قد أذن له صلى الله عليه وسلم بالاجتهاد ، أو كان لا يصدر عنه فعل ولا قول مثلا الا باذن خاص عن الله ، له أن يجتهد .. فهل كانت دائرة اجتهاده أمور الدنيا الصرفة ، أو معها أمور الدين كذلك ؟ وان كان له أن يجتهد فيهما ... فهل وقع منه عليه السلام اجتهاد فى أبواب العبادات كالصــلاة والصوم والحج وما يتصل بذلك من دعاء واستغفار وغيرهما ؟

وهل وقع منه صلى الله عليه وسلم اجتهاد فى الأمور الغيبية أيضا ؟ .. أو كان اجتهاده قاصرا على غير الغيبيات ؟ وإن ثبت أنه عليه السلام كان يجتهد .. فهل كان يصيب دائما أو لا ؟ وان كان الثانى .. فهل كان يقع منه غير الصواب حتى فى الأمور الدينية ؟.. أو كان ذلك فى أمور الدنيا فقط ؟

وإن كان يقع منه غير الصواب فى الجميع ... فهل يجب أن يوحى اليه صلى الله عليه وسلم فورا فى كل انواع اجتهاده ؟.. أو يجوز أن يتراخى بيان الصــــواب ؟ وان كان الثانى ... فهل يكون ذلك عــــاما فى أمور الدين والدنيـــا .... أو فى أمور الدنيا فقط ؟ أمـــا فى أمور الدين فيجب بيـــان الصـــواب فورا ؟

وإذا علمنا أن رؤيا الأنبياء وحي .. فهل يتناول اجتهاده عليه السلام تعبيرها .. فيصيب تارة دون أخرى ؟ وهل تكون على ما وقع بحضرته صلى الله عليه وسلم يكون حجة على صحة ما وقع (٥) .

وبعد أن عالج المؤلف هذه الأسئلة وقدم الدليل عليها ، أجاب عنها فى نهاية المطاف حيث يقرر : أن الاجتهاد جاز على الرسول صلى الله عليه وسلم، لأنه وقع فعلا منه ... وموضوعه متنوع ، دينى أو دنيوى ، مغيب أو مشاهد، وليس بلازم أن يكون رأيه عن اجتهاد صوابا على الدوام ، وليس بلازم أيضا أن يقع من الله سبحانه التصحيح للعمل الخطأ فورا كما فى تمنيه صلى الله عليه وسلم ، استقبال الكعبة فتراخى الوحى سبعة عشر شهرا ... كما يجوز الا يرد له تصحيح ما على الاطلاق كما فى حديث تأبير النخل المقدم ... كمـــا يحتمل أن يكون سكوته صلى الله عليه وسلم على رأى بعض صحابته موافقة عليه أو انتظارا لما يأتى به الوحى (٦) كما فى حديث ابن العياد (٧) .

ونكرر ما رددناه كثيرا من أن هدف المؤلف فى كتابه هو :

المحافظة على مقام الألوهية من أن يقتحمه أو يدنو منه احد من خلق الله مهما عظمت منزلته ، كما عمل لذلك خاتم الأنبياء وسيد الأبرار محمــد صلى الله عليه وسلم مع العلم بأن اجتهاد الرسول عليه الصلاة والســـلام فى غير أمور الدنيا كان أحسن ما تصل اليه عقول البشر البريئة من الغلظة والقسوة وكانت مصدر رفق ورحمة وبذلك يبقى مقام النبوة فوق كل مقـــام « الله اعلم حيث يجعل رسالته » .

ونهتف بالناس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع المؤلف بقـــول الله تعـــالى :

((**قل إنما انا بشر مثلكم يوحى إلىّ انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا**)) آية : ١١٠ الكهف .

بقى أن أشير الى أن كتاب ــ اجتهاد الرسول صلى الله عليه وسلم يقع فى ٢٠٠ صفحة ، ويتألف من مقدمة وبابين ، وفى كل باب ثلاثة فصـــول .. وأخيرا ــ خاتمـــة ... وتولى طبعه ونشره دار البيان بالكويت . ولم تخل صفحات الكتاب من اخطاء مطبعية لا تخفى على القـــارىء ، ويمكن تداركها بسهولة وإن كنا نأمل أن تختفى فى طبعته القادمة باذن الله .

وقد بذل الأســـتاذ المؤلف جهدا مشكورا عـــودنا ببذله فى كل ما كتب ويكتب ... وهو فى كتابه هذا ومؤلفاته الأخرى .. فقيه ولغوى ممتاز ، يناقش موضوعاته لغة واصطلاحا ،وعالم سلفى موسوعى ، هضم تراث من سبقوه ... وهو فوق هذا وذاك ذو نظر ثاقب ، ومعرفة بكثير من فنـــون العلم ، وصنوف المعرفة .

وهو يجل العقل البشرى عن أن ينساق وراء الترهـــات والجهالات ، ويدعو قومه ــ ما فتىء ــ الى الاجتماع على كتاب الاسلام ، وسنة خـــاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام .

واسلوب فضيلته يشع جزالة ، وضياء باهرا ، ويغرى بالتأمل والاطلاع وقد سد بكتابه هذا فراغا فى المكتبة الاسلامية ... وإنى لأرجو أن أكون قد وفقت فى رسم صورة تعبر عن فكر المؤلف كما أبانه فى صفحات كتابه ... والله المستعان .

---

(١) انظر الاسلام عقيدة وشريعة . الشيخ محمود شلتوت ص : ٢١ ، ٢٩ .

(٢) انظر اجتهـــاد الرسول ص : ٩ ، ٢٢ .

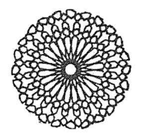
(٣) جـ ٤ من ص ٢٦٥ طبع المطبعـــة الأزهرية المصرية ١٣٢٧ هـ .

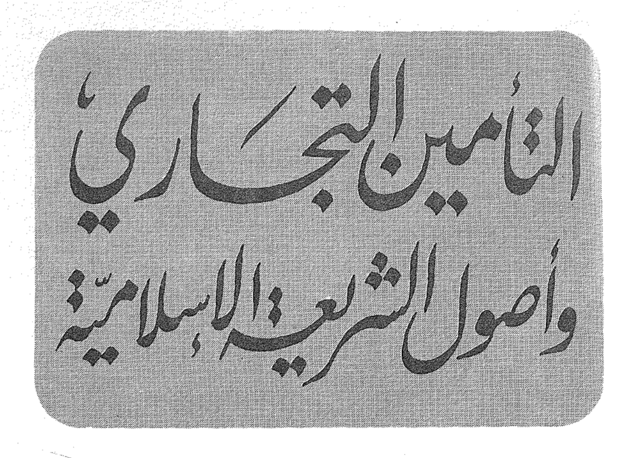
(٤) انظر اجتهاد الرسول ص ٢٥ ، ٦٨ .

(٥) انظر اجتهاد الرسول ص ٧١ ، ١٨٨ .

(٦) انظر اجتهاد الرسول ص ١٩١ ، ١٩٦ .

(٧) نص الحديث : روى البخارى ومسلم عن محمد بن المنكدر قال : رايت جابر بن عبد الله يحلف بالله ان ابن الصيـــاد هو الدجال . قلت : تحلف بالله ؟ قال : انى سمعت عمـــر ابن الخطاب يحلف على ذلك عند النبى صلى الله عليه وسلم ، فلم ينكره النبى صلى الله عليه وسلم)) فتح البارى جـ ١٣ كتاب الاعتصام ... باب من رأى ترك المنكـــر ((البخـــارى)) وفـــى مســـلم فى كتـــاب الفتـــن جـــ ٨ متن . أبـــواب ابـــن الصياد والدجال . هذا وللحديث روايات اخرى غريبة بالفاظ وطرق متعددة واشدها غرابة ما فى مسلم فى باب الفتن .





للدكتور عبد الناصر توفيق العطار

التامين والتعـــاون :

١ ــ يسعى المؤمن الى جمع اكبر عدد من راغبى التأمين ضد خطـــر معين ، بحيث يدفع كل منهم قســـطا ثابتا أو متغيرا فيجتمـــع من هـــذه الأقساط مبالغ ضخمة يمكن بها تغطية ما قد يقع لأحد المؤمن لهم من اضرار هذا الخطر ، فأقساط المؤمن لهم هي ذاتها التى تغطى كوارثهم ، والمؤمن ليس إلا وسيطا بينهم ينظم طريقـــة تبادلهم جبر اضرار الخطـــر المؤمن منه ، وكأن المؤمن لهم يتعاونون بذلك على توزيع آثار الكوارث عليهم عن طريق مساهمة كل منهم بقسط يغطى ما قد يلحق أحدهم منها ، فيوزع عبء الكارثة عليهم جميعا ، وبغير وجود مجموعة من المؤمن لهم ضد خطـــر معين يعجز المؤمن عن تغطية أضرار الكارثة ، وبالتالى لا بد فى التأمين من تبادل المخاطر وافتراض التعاون بين المؤمن لهم وهو ما يقتضى جمع أكبر عدد منهم حتى يتجمع أكبر قدر من المال الذى يخصـــص لتغطيـــة المخاطر فيمكن بالتالى توزيع أضـــرار الكوارث عليهم جميعا .

٢ ــ ومن المعروف أن الله سبحانه وتعـــالى قال فى كتـــابه العزيز : **(وتعاونـــوا على البر والتقـــوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان)** وقال صلى الله عليه وسلم : (الله فى عون العبد ما كان العبد فى عون

أخيه) وقال عليه الصلاة والسلام : (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة) وهناك آيات وأحاديث أخرى تحض على التعاون .

٣ ــ وقد ذهب بعض من أباح التأمين (٢) الى أن التأمين تعاون على البر ، على أساس أنه تعاون على دفع الضرر عند حلول الكوارث فى الأنفس أو فى الأموال ، وهو عقد بين جميع المؤمن لهم على التعاون على دفع الأخطار التى قد تلحق بعضهم ، وليس المؤمن الا وسيطا بينهم ووكيلا عنهم ينظم هذا التعاون، واذا صح أن تتعاون طائفة من الناس دون التزام سابق ، فمن الأولى أن يصح ذلك منها اذا التزمته بعقد عن رضا وما ذلك الا التأمين والتعاون الذى أدى الى استحداث أنظمة جديدة مفيدة للمجتمع ويقرها الشرع كنظام الأوقاف الخيرية والجمعيات التعاونية ، وليس التأمين إلا نظاما آخر جديدا للتعاون على دفع الضرر عند وقوع الأخطار المؤمن منها .

والحجة السابقة محل نظر للآتى :

أولا : أن التأمين لا تعاون فيه بين المؤمن لهم ، لأنه عقد على الأمان لا على التعاون ، ولأن كل مؤمن له يتعاقد على التأمين بدافع مصلحته الخاصة لا لصالح باقى المؤمن لهم ، فهو لا يفكر فى مصالح باقى المؤمن لهم وهو لا يطمئن اذا قلنا له أن مبلغ التأمين سيدفع له من تعاون باقى المؤمن لهم ، فالمؤمن له يتعاقد مع المؤمن فحسب تعاقدا فرديا ولا يتعاقد مع المؤمن لهم ، يؤكد ذلك أن التعاون يقتضى وجود رابطة بين المؤمن لهم اذا كانوا متعاونين ، ولا رابطة بينهم فعلية أو قانونية فكيف يكون هناك تعاون بينهم .

أن التأمين تعاقد فردى ، غير أنه اذا كثر طالبوه تكون منهم ما يمكن أن نسميه جماعة بالتتابع ولا وجود لأى اتفاق جماعى على التعاون أو غيره بين المؤمن لهم . والواقع أن خبراء التأمين وجدوا أن المؤمن لا ينجح إلا إذا كثر عدد المؤمن لهم فزعموا وجود اتفاق جماعى بين المؤمن لهم على التعاون على الكوارث وقيام المؤمن بتنظيم هذا التعاون . فالتعاون فى التأمين أمر مفترض ولا ظل له من الحقيقة ، تماما كفكرة العقد الاجتماعى التى زعم انصارها أن الناس قديما كانوا يعيشون فى فوضى ثم تنازل كل منهم عن جزء من حرياته مقابل حفظ الجزء الباقى على أن يقوم أحدهم (وهو الحاكم) بمراقبة تنفيذ هذا الاتفاق الجماعى ، وهذا محض خيال واذا كان المؤمن يدفع مبالغ التأمين من الأقساط التى يجمعها من المؤمن لهم ، فالمصرف (البنك) يدفع القروض من ودائع العملاء ، فهل من يتعاقد مع مصرف يتعاقد على التعاون مع جميع عملاء المصرف أم يتعاقد تعاقدا فرديا ، فكذلك الحال فى التأمين .

ثانيا : اذا افترضنا التعاون بين المؤمن لهم ، فلا يجوز التأمين حتى يثبت أنه تعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان فالشارع يدعو الى التعاون على البر ، سواء كان هذا التعاون تلقائيا أم التزمته جماعة بعقد وقد أجاز الشارع الأوقاف الخيرية لأنها تعاون على البر ، ولا يجيز من الجمعيات التعاونية الا ما يتعاون منها على البر والتقوى ولا شك أن التعاون على دفع الضرر عند حلول الكوارث فى الأنفس والأموال مما يحض عليه الشارع لأنه تعاون على البر ، لكن هذه قد تكون غاية لشركات التأمين فهل تستخدم فى

تحقيقها وسائل مشروعة ؟ هذا هـــو موضع النزاع فبعض ممن أجـــاز التأمين وقف عند هذه الغاية ، بينما بعض ممن حرم التأمين ذكر وسائل غير مشروعة تســتخدمها شركـات التأمين للوصول الى اغراضها كالربا والغرر والشروط الفاسدة ، فمثـــلا يسقط حق المؤمن له فى مبلغ التأمين اذا دفع بعض الأقساط وعجز عن دفع باقيها فى بعض صور التأمين ، فهـــل هذا تعاون ؟ وفى التأمين على الحياة لحال الوفاة يستحق مبلغ التأمين عند الوفاة فى التأمين العمرى ، لكن فى التأمين المؤقت يستحق مبلغ التأمين اذا مات المؤمن على حياته خلال مدة معينة ، فاذا عاش حتى انقضت هذه المدة ضاعت عليه الأقساط ولم يقبض مبلغ التأمين ، فهل هذا تعاون ؟ وفى تأمين البقيا لا يستحق مبلغ التأمين اذا مات المستفيد قبل موت المؤمن على حياته ، فهل هذا تعاون ؟ كذلك هناك تأمين على سيقان الراقصات ، فما وجه التعاون فيه ؟ هل هذا تعاون ام تجارة تقوم على الاستغلال ؟! وقد اباح الفقهاء التأمين التعاونى لما فيه من التعاون على البر ، وحرم الكثير منهم التأمين التجـــارى لما فيـــه من الوسائل غير المشروعة على أن بعض من يرى جواز التأمين يذهب الى أن هذه الوسائل غير المشروعة بعيـــدة عن جوهر التأمين ، ويمـــكن الحكم عليها وحدها ، ولكن هل يمكن للتأمين التجارى أن يتجرد من هذه الوسائل ؟ لا أظن ذلك لأنها من خصائصه الفنية وهو كنظام قائم الآن لا يخلو من هذه الوسائل ، فلا ينبغى ان ينظر اليـــه مجردا عنها ، واذا نظر اليه مجـــردا عنها فقد بعض خصائصه الفنيـــة ، وأصبح حكمنا واردا على تأمين لا وجود له فى الواقع . ويبدو أن جوهر التأمين عند الرأى المعارض هو أنه تعاون على دفع الضرر عند حـــلول الكوارث فى الأنفس والأموال ، وهذه غاية للتأمين ، ولا خلاف فى جوازها لكن هذه الغاية مفترضة فضلا عن انها ليست جوهر التأمين التجارى لأن جوهره قبول التأمين ضد اخطار معينة بما يحقـــق الربح للمؤمن وكـــل ما يتعارض مع هذا الجوهر مرفوض من المؤمن بصرف النظر عن التعـــاون ، والوسائل غير المشروعة وسائل لا بد منها للمؤمن لتحديد الأخطار المقبولة او لتحقيق الأرباح المأمولة .

---

(١) الآيـــة

(٢) سورة المائدة .

(٣) محمد البهى فى كتابه (نظام التامين فى هدى احكام الاسلام وضرورات المجتمـــع المعاصر) ص ٦٩ و ٧٠ واحمد بهجت حلمى والطيب حسن النجار فى اسبوع الفقه الاسلامى ص ٤٨٥ و ٥٠٢ على التوالى .

(٤) عبد اللطيف السبكى فى فتواه لمجمـــع البحوث ص ٣ و ٤ و ٧ ومحمد ابو زهرة فى اسبوع الفقه الاسلامى ص ٥١٨ واحمد النجدى فى رسالته ص ٣٣٧ و ٣٣٨ ..



للاستاذ : عبد اللطيف فايد

خلا النبى الى نفسه ساعة من ذات يوم وهو بمكة ، قبل ان يهاجر الى المدينة ، وقد أهمه كثيرا أمر قريش ، التى أمعنت فى ايذائه ، وايذاء من آمنوا بدعوته ، وتذكر أصحابه الذين هاجروا الى الحبشة ، فرارا بدينهم من الفتنة ، وساورت نفسه الخشية عليهم بعد أن جاءت اليه الأنباء تقول : ان « عبيد الله ابن جحش » أحد هؤلاء المهاجرين ترك دين الاسلام الى النصرانية .. لكن هذا النبأ يتبدد صداه ، لتأتى انباء أخرى تؤكد تحقق جانب هام من الأهداف الدينية والسياسية والانسانية التى من أجلها أمر محمد أصحابه بالهجرة الى الحبشة ..

لقد بعث اهل مكة وراء هذا الركب المهاجر من المؤمنين رسولين الى ملك الحبشة ، يستعدونه عليهم ، ويطلبون اليه تسليمهم واعادتهم ، حتى تفشل أهداف محمد ، التى قصد اليها حين أمرهم بالهجرة ..

لقد أحسنت مكة اختيار رسوليها الى النجاشى ، وزودتهما بالنصائح والاستمساك بوجهة النظر التى تسيطر على المجتمع المكى ، وأعطتهما حرية التصرف فى الوسيلة التى يصلان بها الى الهدف ، ومعهما من الهدايا نفائس ما حملته قوافل التجارة من فارس والشام ومصر وغيرها من البلاد التي تتعامل مع أسواق العرب ، لتكون هذه الهدايا عونا لهما على قلب ملك الحبشة ورأيه .

وانطلق « عمرو بن العاص » و « عبد الله بن أبى ربيعة » الى أرض الأحباش بما حملا من هدايا ومن وصايا ، وكانا لا يزالان على دين قومهما .

قطعا الطريق الطويل فى أحاديث متصلة .. كل منهما يقلب بين يدى زميله وجهة نظره لعرض الأمر على النجاشى .. كيف يدخل الى قلبه ، ويستولى على فؤاده ، ويقنعه برأى قومه .

« عمرو بن العاص » اشتهر بين العرب بسعة الحيلة والدهاء ، اذا دخل

فى مأزق احسن الخروج منه .. واذا رأى غيره فى موقف المتهم لا يعجزه ان يلفق له صورا للبراءة تفتح له طرق التحلل مما هو فيه .

و « عبد الله بن ابى ربيعة » له منطق الموهوب ، ونظرة الحكيم ، ورأى المجرب .. وهو فوق ذلك يذهب الى النجاشى مطالبا برد شقيقه « عياش » الذى هاجر الى بلاده مع المهاجرين .. وهو من هنا يتمتع بشرعية الطلب ، اذ انه يتحدث باسم اسرة لها حق القوامة على واحد منها ترك دينها وديارها وهاجر الى بعيد ، خارجا على طاعتها والامتثال لأمرها .. ولا يليق بملك الحبشة أن يشجع خارجا على ارادة أبيه وأمه واخوته الأقربين .. فاذا نجح فى اقناع النجاشى بذلك فان بقية المهمة تصبح هينة مضمونة النتيجة ..

استغرق « عمرو بن العاص » فى تفكيره مرحلة من الطريق ، ثم طلب من زميله الرأى فيما هداه التفكير اليه .. ولم يلبث « عبد الله بن أبى ربيعة » أن وافقه مادحا له حيلته ورأيه ..

كان رأى « عمرو » أن يصل الى قلب النجاشى عن طريق بطارقته ، فلكـل ملك حاشية وبطانة ، يعميه السلطان عما يدسون عليه من الرأى ، ويزين له نفاقهم أن ضلالهم حق ، وأن كذبهم صدق ، وأن الصواب فيما يرون ، ولو كانت نفسه تحدثه بأنه خطأ .

عند مشارف الطريق الى قصر النجاشى ، وقف رسولا اهل مكـة بأمر الحراس الذين سدوا كل طريق الى مربض الملك ، حتى لا يتسلل اليه احد دون اذن أو أمر ، وحتى لا يفاجأ رب القصر وسيد البلاد بشخص بين يديه لا يحب أن يرى وجهه أو يسمع منه ، لتصفو له مجالسه كما يريد .

واقتاد الحراس الرسولين الى البطارقة ، وهم حاشية الملك ، وجلساؤه ، والآذنون بالدخول عليه ، والمانعون من يشاءون عن المثول بين يديه ..

نثر الرسولان فى مجلس البطارقة اغلى ما حملا من هدايا مكة .. وأخذ عمـــرو يتكلم ..

فقد جاء من مكة يحمل التقدير والاجلال الى ملك الحبشة .. وهو يوقن من حسن رأيه وصواب نظره ، وانه من أهل الحق الذين يثوبون اليه إن خدعهم عنه عطف على قوم ظنوا بهم خيرا وهم يطوون قلوبهم على الشر .. وأن بطارقتـه العظام يعينونه دائما على ما يليق به ، ويجنبونه ما يسىء الى بلاده والى علاقتها بغيرها من البلدان ، فهم وزراؤه ومستشاروه ، وأعوانه على ما يصدر من الأمر ، وما يبدى من الرأى ..

أما هذه الهدايا التى حملها مع رفيقه الى البطارقة العظام فهى ليست كـل ما تريد أن تبعث به مكة الى حاشية عظيمة لملك عظيم ، فكثير من قوافل مكة ستتخذ وجهتها دائما الى هذه البلاد تحمل اليهم ما يشاءون من خيـرات الأقطار الكثيرة التى تتبادل التجارة مع عرب مكة ..

ثم شرح ما جاء من أجله ..

وأسر اليهم حين يعرض الأمر على الملك أن يعاونوه ، فيزينوا للنجاشى وجاهة الطلب دون أن يستقدم أحدا من المهاجرين يسمع رأيه ، أو يأمر بمثولهم جميعا بين يديه ، فتتكاثر حججهم ، ويقوى دفاعهم ، فتفشل المهمة .

كان أصحاب النبى حين نزلوا بأرض الحبشة وطلبوا جوار ملكها استقبلهم أهلها بنفس كريمة ، وبسط عليهم صاحب تاجها حمايته وجواره ، يعملـون ، ويعيشون ، ويتعبدون على دينهم الذى فروا به من الأذى والفتنة .

ودخل « عمرو » فى حديثه أمام النجاشى عن طريق يستثير به مشاعره الدينية ليأمر بتسليمه جماعة المسلمين المهاجرين الى بلاده ، دون أن يتعمق فى بحث الأمر ، أو يقلبه على شتى وجوهه ..

قال له : « أيها الملك : أنه قد ضوى الى بلدك منا غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك ، وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا اليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم اليهم ، فهم أعلى بهم عينا ، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه » .

كانت هذه الخدعة قد جازت على البطارقة من قبل ، واقتنعوا بها ، فتوالت أحاديثهم الى مسامع المتربع على عرش الحبشة أن يدع لهم أخوانهم وبنى عمومتهم فيرجعوهم الى قومهم ، ولا يعنى دولة عاهل الأحباش ما سيكون من شأنهم معهم ..

وسمع الملك من البطارقة حتى انتهت أحاديثهم واحدا بعد الآخر .. وفى صوت جهورى آمر انطلقت كلماته تخترق آذانهم : بئس الرأى ما ترون .. هل نستمع الى طرف واحد فى القضية ! .. كلا .. فانه لا يليق بنا أن نخلع عنهم جوارنا حتى نرى رأيهم فيما يدعيه رسولا قومهم ، ولا يجدد بملك الحبشة أن يرجع عن رأى اطمأن اليه دون أن يكون نقيضه خيرا منه .. مروا بهذه الجماعة التى نزلت أرضى ، وبسطت عليها حمايتى أن تحضر لنناقش ما سمعنا من هذين الرسولين ، ونسألهم شيئا عن هذا الدين الجديد ، الذى آثروه مفتربين على المقام بدونه فى أمن بين أهليهم وذويهم ، وفوق أرض بلادهم ..

صدع البطارقة بالأمر ..

وفى عزة المؤمنين بدين الله كان لقاء المهاجرين بملك الحبشة .. سألهم عن دينهم الذى تركوا به بلدهم ، وفارقوا أهلهم ، ولماذا لم يدخلوا فى دينه ؟ ! ..

وتولى الرد على سؤال الملك زعيم هذه الفئة المهاجرة وأميرها ـــ بأمر النبى ـــ فى رحلتها الى بلاده « جعفر بن أبى طالب » ابن عم النبى ، وأحد الـذين أسلموا فى فجر الدعوة ، وهى لا تزال سرا يتخفى من أن يكشفه المعانـدون المتكبرون .. وأخذ يشرح دعوة الدين الجديد للملك فى منطق سديد ، وحجة باهرة :

« كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسىء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف ..

« فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا ، نعرف نسبه ، وصدقه ، وأمانته ، وعفافه ..

« فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ماكنا نعبد وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ..

« وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء .

« ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات
« وأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئا .
« وأمرنا بالصلاة والزكاة ، والصيام .
« . . . . . .
« فصدقنـــاه .
« وآمنـــا بـــه .
« واتبعناه على ما جاء به من الله .
« فعبدنا الله وحده لا نشرك به شيئا .
« وحرمنا ما حرم علينا .
« وأحللنا ما أحل لنا . .
« فعدا علينا قومنا ، فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ، ليردونا الى عبادة الأوثان من عبادة الله ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث .
« فلما قهرونا وظلمونا ، وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا الى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا فى جوارك ، ورجونا الا نظـــلم عنـــــدك » .

كان « جعفر بن ابى طالب » أمير المهاجرين يتلو هذا البيان الرائع باسم رفاقه الذين صحبوه الى الحبشة بأمر النبى ، والنجاشى مأخوذ بما فيه ، كأن عظمة الرسالة الجديدة قد انسابت الى قلبه فملكته . . لكنه أراد أن يستزيد من الحديث عن هذا الدين المستنير .

فقال لجعفر : هل معك مما جاء به النبى عن الله شىء تقرؤه على ؟ . .

قال جعفر : نعم . .

وأخذ يتلو عليه من سورة مريم :

« كهيعص . ذكر رحمة ربك عبده زكريا . إذ نادى ربه نداء خفيا . قال رب انى وهن العظم منى . واشتعل الراس شيبا . ولم اكن بدعائك رب شقيا . وانى خفت الموالى من ورائى وكانت امراتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا . يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا . . يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا . » .

واستغرق قلب النجاشى وقلوب بطارقته مع الآيات البينات التى تحكى قصة نبى الله زكريا عليه السلام وولده يحيى المسمى عندهم « يوحنا المعمدان » الذى عمد المسيح عليه السلام بعد أن ولدته مريم البتول على كيفية اراد الله بها أن تكون آية للناس ورحمة منه . .

ويستمر جعفر بن ابى طالب فى تلاوته حتى يبلغ **قول الله تعالى :**

فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا . قال انى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا . وجعلنى مباركا اين ما كنت واوصـــانى بالصـــلاة والزكاة ما دمت حيا . وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا . والسلام على يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا . » .

لم يقطع تلاوة جعفر سوى صوت من البطارقة يقول :

هذه كلمات تصدر من النبع الذى صدرت منه كلمات سيدنا يسوع المسيح

.. والدين الجديد مصدق لما فى الانجيل .
وقال النجاشى : ان هذا والذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة ..
وتبين له وجه الحقيقة ، فأمر الرسولين بالانصراف والعودة الى بلدهما ..
اما المسلمون المهاجرون فلهم عنده الأمان والرعاية وحسن الجوار حتى يرغبوا فى الرجوع الى ديارهم بعد أن يظهر الله الدين الجديد وينصر نبيه .
كبرت على نفس « عمرو بن العاص » وعلى دهائه وحيلته أن يعود كما جاء ، وكان يظن انه سيعود الى مكة يقود أمامه هذه الفئة اللاجئة الى الحبشة ، فلما كان الغد طلب المثول بين يدى النجاشى ليستدرك ما فاته بالأمس .. وما كان الا مدبرا خدعة جديدة ..
وحين اجابه النجاشى الى طلبه زعم أمامه أن نبى المسلمين يقول فى عيسى ابن مريم قولا عظيما .. ودعاه أن يسأل اتباعه الذين يستظلون بحمايته ليرى ما يقوله نبيهم ..
بعث النجاشى فى طلبهم ، فلما دخلوا عليه قال « جعفر بن أبى طالب : نبينا يقول فى عيسى ابن مريم هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته القاها الى مريم العذراء البتول .. »
امتلأت نفس ملك الحبشة سرورا وغبطة بهذا القول ، فتناول عصاه وخط بها على الأرض قائلا : ليس بين دينكم وديننا أكثر من هذا الخط ..
كانت هذه العبارة البليغة من النجاشى تعكس ايمانه بصدق الرسالة التى جاء بها محمد وتؤكد عزمه على حماية المؤمنين به مهما بعث أهل مكة من رسل يطلبونهم .
وعاد « عمرو بن العاص » و « عبد الله بن أبى ربيعة » الى مكة يقودهما الفشل فى المهمة التى بذلا فيها كل جهدهما .
وترامى الى سمع النبى من أحاديث قريش غيظهم بعد أن خاب أملهم فى استرداد المهاجرين اليهم ، يفتنونهم فى دينهم ، ويوقعون بهم ما يشاءون من نكال ومن تعذيب ، حتى يرتدوا عن الاسلام ، ويتبعهم بقية المؤمنين الذين لا يزالون فى قلة يحيطون بالنبى ، ويستميتون فى سبيل الدين الجديد ..
زالت عن النبى خشيته على هؤلاء المهاجرين وعلى أميرهم « جعفر بن أبى طالب » الذى أحسن التعبير عن صدق الرسالة وعظمتها مترجما عن ايمانه وايمان رفاقه العميق بها ، واطمأن الى أن ايمانهم لن ينال منه كيد أو دهاء أو خديعة ، كما اطمأن الى جوارهم من النجاشى .. وأيقن من توفيق الله له حين جعل « جعفر ابن أبى طالب » أميرا على هؤلاء المهاجرين ، وهو يعلم صدق ايمان جعفر وهمته فى حمل الأمانة التى وكلها اليه بقيادة هؤلاء المؤمنين ، والتعبير عما فى نفوسهم أن تعرضوا لحوار أو نقاش ، وكشف ما يدبر من خداع أو مؤامرات للايقاع بهم ، وايغار الصدور عليهم .. وأيقن كذلك من صدق نظرته حين قال لهم وهو يوجههم الى الحبشة : « ان بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه » .

وكشف الله عن النبي ما اهمه من أمر هذه الهجرة ومن أمر الذين هاجروا فيها ..

كان ذلك انتصارا سياسيا عظيما للمسلمين في مواجهة قريش ، فالمسلمون يجدون العون والرعاية والتأييد من بلد غير مكة .. وهم بايمانهم ، واستمساكهم به ، ودفاعهم عنه بالنفس والمال والولد سينالون من الله النصر العزيز .

★ ★ ★ ★

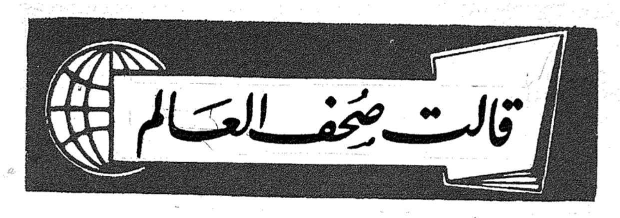
ترى ماذا سيفعل النبي والمؤمنون معه لحماية الرسالة ، وحمايـــة النصر السياسي الذي ظفروا به في مواجهة الشرك والظلم والمؤامرات .

دين الله لا بد أن ينتصر ..
وأصنام الشرك لا بد أن تتحطم ..
والايمان بالله الواحد الأحد لا بد أن يجد طريقه الى القلوب ..
مجتمع الظلمات لا بد أن يشرق عليه نور الهداية ..
وشريعة العدل لا بد أن تسود بين الناس ..
وحق الحياة لا بد أن يكون لكل فرد فيه نصيب عادل ..

ودنيا عباد الله لا بد أن تخلو من عصبية الجنس واللون والنسب والثراء ..
كل الناس أمام الله سواء .. لا يعلو أحدهم على غيره الا بالتقوى والعمل الصـــــالح ..

والذين هاجروا الى الحبشة في سبيل هذه المبادىء ، ودافعوا عنها وهي لا تزال قليلة الاعوان لا بد لهم من حماية قوية ، ليس هناك في الحبشة وحدها وفي جوار ملكها العادل وحـــده ، بل كذلك في الأرض التي ظهرت الدعوة على صعيدها ، ونبتت فيها بذورها ، فاذا عادوا اليها ذات يوم أدركوا أنهم حينما هاجروا في سبيل الدين وحققوا بجوارهم مع النجاشي نصرا سياسيا له ــ انما تركوا خلفهم في مكة جنودا أشداء للدعوة ، يحمون بايمانهم ظهورهم ، ويحققون لهم القوة والمنعة في أرض هجرتهم على بعدها ، ويكسبون لدين الله في كل يوم أنصارا يشاركونهم جهادهم المقدس ، فالانتصار الأكبر لهؤلاء المهاجرين انما هو الذي يتحقق على أرض المعركة ذاتها ، وضد الذين أشعلوها حربا لا رحمة فيها ولا منطق لها ..

(للقصة بقية ..)



الجهاد وحرية العقيــدة
لا يتعارضـــــان

الاسلام جاء ليحرر الانسان من العادات والتقاليد التى قد يقع اسيرا لها ، حتى وان كانت عادات سيئة .. وتقاليد مشينة .

جاء الاسلام ليحرر الانسان فكرا وسلوكا .. لا سلطان لأحد عليــه .. والناس سواسية ما التزموا طريق الجادة ..

كفل الاسلام للانسان حرية العقيدة وحرية الفكر .. ومع ذلك دعاه الــى ما يصلحه ويعلى من شانه .. فاذا ما وقف فى طريق الاصلاح واقف شهر فــى وجهه السيف — بعد أن يكون قد استنفد معه كل الطرق السلمية — دفاعا عن الحق .. وصونا للعدالة .. وتامينا لسبيل الدعوة ..

• • • • •

وتحت هذا العنوان كتبت مجلة (الرسالة الاسلامية) تقول :

كان القتال وسيلة من وسائل الدعوة . ولكنه لم يكن الوسيلة الوحيدة ولا الوسيلة الأولى . بل كان الوسيلة الثالثة أو الأخيرة . فلم يأمرنا الــدين بالقتال الا بعد دعوة غير المسلمين الى شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ، فان استجابوا كفى الله المؤمنين القتال ، وان أبوا دعوا الى معاهدة سلميــة تؤمنهم ، وتضمن الكف عن مناواة الدعوة أو النيل من مسيرتها حقنا للدماء ، واحتراما لما يدعو اليه الدين من فضائل وحدود وأحكام ، وصونا للأعراض ، وإقامة للعدالة بين الناس .

فان ابوا فالجهاد الواجب لاعلاء الحق ، وادحاض الباطل ، لتكــون كلمــة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا . وفى سبيل الاستشهاد متســع للمؤمنين الذين باعوا انفسهم وأموالهم لله واستحقوا أحسن الجزاء : **(إن الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من اللــه فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم) .**

واذا علمنا ان الداعى الى الاسلام لم يدع الى قتال المشركين بالسيف الا بعد أن دعاهم الى الاسلام فأبوا ، ثم دعاهم الى معاهدة سلمية تؤمنهم وتؤمن سبيل

الدعوة فأبوا أيضا .. إذا علمنا ذلك أدركنا أنه لا اكراه فى الدين ، وأن الجهاد فى سبيل الله إنما شرع بعد تخيير غير المسلمين بين الاسلام ، أو تأمينهم بشرط اخلاء طريق الدعوة الى الاسلام . فان حاولوا إيقاف الدعوة أو الصد عن سبيلها كان القتال هو الفيصل على ما فيه من مشقة وبلاء : **(كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)** .

والمشركون كانوا فى حل من القتال إذا هم أسلموا أو التزموا معاهدة تحول بينهم وبين الفوضى واهدار العدالة . فبالاسلام أو بالمعاهدة يحقنون دماءهم ، ويظفرون بالحياة الآمنة ، ويتقون إشعال نار الحرب . وهم إن مالوا الى السلم وجدوا المسلمين مسالمين : (**وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله)** .

فالسلام لا يسود الا إذا سادت بين الناس العدالة ، والعدالة لا تسود الا إذا هم أسلموا ، واحترموا مبادىء الاسلام وتعاليمه ، وخضعوا لحدوده ، ولم يقفوا فى طريقه باثارة الفتن والخروج على مقتضيات العدالة .

ولقد كانت هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة بتوجيه من الله تعالى ، إيذانا بوجوب الجهاد لنشر الدعوة الاسلامية ، ومحاربة الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا . فما قامت دعوة الى الخير وثورة على الشر بلا جهاد ، وكم وقفت الأهواء فى سبيل الهداية ، وكم جحد الجاحدون وهم يعلمون الحق بدافع من الظلم والاستعلاء : (**وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا)** .

ولم تكن رحى الحرب تدور فى ظل الاسلام لفرض السلطان او الاكراه على الايمان . فالدين يرفض الاكراه لأن الاسلام لا يكون الا اذعانا للهدى ، والايمان لا يكون الا اقتناعا بالحق . وانما شرع الجهاد للسير بالدعوة من غير توقف ، وشق كل طريق مسدود ، وفتح كل باب مغلق ، واستمرار الرسالة المنزلة : **(لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل)** .

طبيعة هذا الدين

ديننا الإسلامى دين يأخذ بيد الإنسانية الى طريق الخير والفلاح .. دين يختلف فى دعوته عن كل دعوة سبقته .. وهو الرسالة الخالدة التى تتضمن ما يصلح دنيا الناس وآخرتهم .. ولم يجعل الدنيا مبلغ همه ، ولا منتهى أمله .. بل هى مزرعة للآخرة .. وهى فانية ومحدودة .. أما الآخرة فباقية خالدة .. من هنا تختلف طبيعة ديننا الاسلامى عن طبيعة الدعوات الأخرى .

وحول هذا الموضوع كتبت مجلة (الرائد) تقول : ــ

إن طبيعة هذا الدين غير طبيعة الدعوات الأخرى ومنهجه غير منهجها وأسلوبه غير أسلوبها ولغته غير لغتها ، وسحنته غير سحنتها ، ونبرات صوته غير نبرات صوتها وأتقدم خطوة فأقول إن قسمات وجهه غير قسمات وجهها ، وكيف لا يكون ذلك فدعوة الدين هى الدعوة الى الآخرة ودعوة المذاهب الوضعية هى الدعوة الى الدنيا ، دعوة الدين الى تحسين الحياة الطويلة الباقية ،

« وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون » ودعوة الحركات السياسية والمذاهب الاقتصادية والسياسية المعاصرة الى تحسين الحياة القصيرة الفانية « وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون » .

فينبغى أن يتجلى هذا الفارق الأساسي والخط الفاصل المميز بين الدعوتين فى سائر أجهزة الدين وفروعه وأجنحته ونشاطاته وتصرفاته وفى نظرته العامة الى الحياة والأحياء بل الى جميع الأشياء حال من جاءه برهان من ربه وذاق حلاوة الايمان وفتح الله عليه باب المعرفة والاحسان وأوتى نعمة الفرقان بين الحق والباطل فتكيف سلوكه وخلقه ونشاطه وجهاده بهذا الإيمان وظهر إيمانه بالغيب على إيمانه بالمشهود ، واقباله على الدار الآخرة على اقباله على الدنيا وطمعه فى النجاة من النار على طمعه فى الرقى والازدهار والفتح والانتصار اذا كان ذلك من غير قلب سليم ، ونية صالحة ، وعاطفة إيمانية ودعوة ربانية وروح نبوية وفى حدود معلومة واضحة نطق بها الكتاب والسنة ، وحددتها الشريعة السمحة الغراء ودرج عليها الصالحون وأجمع عليها العلماء الربانيون ولم تدنسها شوائب الحضارة المادية ، وسموم الثقافة الغربية والأفكار اللادينية .

إن القرآن حرص دائما على أن يبقى هذا الفرق واضحا لكل ذى عينين وحتى فى الأشياء التى تتعلق بالادارة والبناء والتصميم ، والحياة المنزلية والآداب اليومية والمعيشة العامة لتظل الأمة الاسلامية شامة بين الناس لا فى الشارة واللباس والاسم والعنوان ولغة الحديث والقرآن بل فى الذوق والوجدان ، فى العقل والقلب ، فى الضمير ومكنونات الصدر ، وفى سلوك الفرد وسلوك الجماعة ، وسلوك الدولة ، وسلوك الأمة ، فى سائر مجالات الحياة وفروعها .

ربح البيع

فى تفسير ابن كثير : أن صهيب خرج مهاجرا فأتبعه نفر من قريش فنزل عن راحلته . ثم قال : يا معشر قريش قد علمتم أنى من أرماكم رجلا ، وأنتم والله لا تصلون الى حتى أرمى بكل سهم فى كنانتى ، ثم أضرب بسيفى ما بقى فى يدى منه شىء ، ثم افعلوا ما شئتم ، وان شئتم دللتكم على مالى وقنيتى بمكة ، وخليتم سبيلى . قالوا : نعم .

فلما قدم على النبى صلى الله عليه وسلم قال : (ربح البيع) . ونزل قوله تعالى :ـ

« ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله والله رءوف بالعباد » .



الهجـــرة والعـــام الجـــديد

الله سبحانه وتعالى هو المقدر والمدبر لجميع مخلوقاته حتى كانت هــذه التطورات والتقلبات الكونية من عصر الى عصر ومن جيل الى جيل .. سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبــديلا .

نعم ، هكذا كانت مشيئته تعالى منذ الأزل فيتعاقب عهد بعد عهد ونظام تلو نظام فى هذه الحياة الدنيا الى يوم يبعثون .

واليوم .. وقد انتهت هذه السنة (١٣٩٤ هجرية) لتزيح أمامها ســتار الأبدية ولتخلفنا وراءها بما تخلفه لنا من شئون الحياة وشجونها ، ولتنطوى هى كما انطوت لداتها من السنين والأعوام الغابرة تحت طى الكتمان وبين ســجف الماضى والنســيان .

فلنعمل لأنفسنا تصفية حسابية ، اجمالا وتفصيلا ، كما يعمله أرباب التجارة والاقتصاد على رأس كل سنة لنعلم أكانت تجارتنا رابحة أم بائرة ، وحياتنا كاسبة أم خاسرة طوال العام المنصرم ، ثم لنكون على بينة من أمرنا حين نستقبل هــذا العام الجديد . ونضع لأسلوب حياتنا المقبلة فردا وجماعيا ، منهجا نبنى عليه أمورنا ونتمشى على منواله بعد أن نؤيده بميزانيــة تنظم مصادر دخلنا ومصاريف خرجنـــا .

ونحن بصفتنا مسلمين أتباع النبى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ما زلنا على الدوام نستشعر بالمسئولية العظمى التى تلقى على عواتقنا أمام الله نحــو أنفسنا وأهلنا وأموالنا وما توليناه من مصالح ديننا ووطننا ومجتمعنا . فلننصف أنفسنا ولنرجع عن هفواتنا ، ولنتب الى الله سبحانه وتعالى من سيئات أعمالنا ومن شرور أنفسنا قال تعالى : **(يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا)**.

وان لنا لركائز من قبس التنزيل وهدى السنة النبوية هى التى تنظم حياتنا ، وتبنى أمورنا على أساس متين فلا نتخبط خبط عشواء ، فقد قال الله تعــالى : **(ونضع الموازين القسط ليوم القيــامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين)** (الأنبياء ٤٧) . وقوله تعالى : **(ونضــع الموازين القسط)** (العدل) توزن بها صحائف الأعمال وقيل (الميزان) تمثيــل لارصاد الحساب السوى والجزاء على حسب الأعمال بالعدل .

واخرج احمد والترمذى وابن ماجه عن شداد بن أوس (الكيس من دان نفسه مطيعة ومنقادة لأوامر ربها ، أى : الكيس من ابصر العاقبة وحاسب نفسه ، والأحمق من عمى عنها وحجبته الشهوات والغفلات .

وما دمنا نتفيأ تحت ظلال التنزيل ، ونستضىء بهدى السنة النبوية ، فنحن ان شاء الله فى خير والى خير ..

***

وهذا أول يوم من محرم عام ١٣٩٥ هـ قد بزغت شمسه بضيائها اللامع يشع على هذه الحياة فتبعث النشاط فى النفوس لمواجهة هذا العام الجديد وتذكى الحرارة فى العزائم لتدارك ما فات وأخذ الدروس من الماضى .

وهو علاوة على ذلك يذكرنا بهجرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو وصاحبه ابو بكر الصديق تاركين وراءهم وطنهم المحبوب مكة المكرمة لائذين بدينهم الى حيث ترفرف أعلامه ، وتشرق شموسه ، وتتوطد معالمه ، ويصبح هذا الدين الحنيف منارا يهتدى به فى ظلمات الحياة المدلهمة .

وعندما يتحدث المتحدث عن الهجرة وما أدراك ما الهجرة ، يجول بباله ذكر الوطن والحنين اليه ، والغربة وما فيها من كربة ، والسفر وما يعانيه المسافر من متاعب ، فتصور ما شئت أن تتصور كيف يكون حال الانسان عندما يترك وطنه الذى تغذى بثمراته وخيراته ، وتمتع بنسيمه وهوائه ، واقلته أرضه ، واظلته سماؤه ، وبه أهله ، وماله وقومه ، وعشيرته .

حقا ، ان الموقف رهيب ، ومغادرة الوطن تستوجب الحنين والنحيب .

نعم ، فقد هاجر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من مكة وقلبه يحن إليها لأنه فيها نبت وعلى أرضها درج ، وفيها اختاره الله لهداية خلقه ، ولكنه تركها ارضاء لربه واعتزازا بيقينه ، وصونا لدينه ، فقصد المدينة وغايته النضال لاعلاء كلمة الله والجهاد فى سبيل الله .

هاجر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وطنه المحبوب ومشى وصاحبه يقطع الفيافى والبرارى واختبأ بالغار فى ليله ولم يكن معه غير الصديق ، والله ثالثهما ، حتى نجاهما الله من مطاردة أعداء الله الذين يريدون قتلهما وافناءهما من الوجود ، فكان له عند المدينة الحفاوة البالغة واستقر بها قراره والعزة تاجه والكرامة تحيط به من كل جانب .

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

سبحانك ربى من إله حكيم ، فقد أخرجت نبيك محمدا صلى الله عليه وآله وسلم من بين (الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا

بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا) فجعلته بين (قوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين) وهم (اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضـــلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود) (يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئـــك هم المفلحون) ، (رجال لم تلههم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ، ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب) .

فكان ما كان من توافق النفوس وتضافر القلوب ، وتســـاند الصـــفوف ، فصارت للجميع وجهة واحدة ، واخذ التشريع السماوي ينزل تباعا لمصلحة البشر وسعادة الانسان ، ولكن الله أراد أن يمتحن عباده فوقع ما لا بد أن يقع من الجلاد والنضال والقتال بين قوة الحـــق وثبات اليقين وبين الضـــلال وترهاته الباطلة حتى أعز الله الاسلام دينا فاتسعت رقعته وامتدت الفتوحات شرقا وغربا رغم أنوف الأعداء الذين (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) .

فصارت الهجرة بابا يلهجه كل من اعيته الحيل في ان ينال عزة في مكانه الذي هو فيه ، يلج ذلك الباب ليصل منه الى مكان آخر فيه رفعته وفيه سمو مكانتــــه .

الدكتور عبد الله بن عبد القادر
ـــ اندونيســـيا ـــ

دعاء :

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد ذات يوم فاذا هو برجل من الانصار يقال له ابو امامه ، فقال يا أبا امامه : مالي اراك جالسا في المسجد في غير وقت صلاة . قال : هموم لزمتني ، وديون يا رسول الله ، قال : افلا أعلمك كلاما اذا قلته أذهب الله همك ، وقضى عنك دينك، قلت : بلى يا رسول الله قال : قل اذا أصبحت واذا امسيت : اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل ، واعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال .



اعداد : ف. ع.

الكويت : ادى حضرة صاحب السمو امير البلاد المعظم صلاة عيد الاضحى بمسجد السوق الكبير يرافقه سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء وكبار الشخصيات الكويتية .

● استقبل سمو أمير البلاد فى قصر السيف العامر جموع المهنئين بعيد الأضحى المبارك .



حضرة صاحب السمو الأمير المعظم يتوسط كبار رجالات البلاد وأعيانها وهم يتابعون العرض العسكرى الذى أقيم احتفالا بالقوات الكويتية العائدة من الجبهة بعد أن شاركت فى الحرب العربية الاسرائيلية .

● اقامت الكويت عرضا عسكريا احتفالا بعودة القوات الكويتية (لواء اليرموك ، وقوة الجهراء) الى أرض الوطن بعد أن شاركت فى تحقيق النصر على جبهة القنال وفى مرتفعات الجولان . وكان على رأس الحفل سمو أمير البلاد المعظم وسمو ولى العهد رئيس مجلس الوزراء . كما شارك فى الاحتفال الوزراء وكبار رجال الدولة والسلك الدبلوماسى ، ووفد عسكرى من الجمهورية العربية السورية ، ووفد آخر عسكرى من جمهورية مصر العربية .



سمو الامير المعظم يقبل ابن احد الشهداء الذين استشهدوا فى الحرب العربية الاسرائيلية وذلك أثناء العرض العسكرى الذى اقيم احتفالا بالقوات الكويتية العائدة من الجبهة .



صاحب السمو الأمير المفدى يرافقه سعادة رئيس الأركان العامة للجيش يتفقدان القوات العائدة من جبهة القتال ، وذلك اثناء العرض العسكرى الذى جرى فى معسكر اللواء الخامس عشر .

● جريا على عـــادة وزارة الأوقـــاف والشئون الاسلامية احتفلت بذكـرى الهجرة النبوية على صاحبها أفضـــل الصلاة والسلام ، وذلك فى مسجد السوق الكبير ، وقد نقل التلفزيـون والاذاعة وقائع الاحتفال فى حينه .

● وافق مجلس الوزراء الكويتى على المساهمة بمبلغ مليونى دولار لدعـم المعامل بالجامعات المصرية .

● توافدت على البلاد وفود الحجاج القادمة من الباكستان وأفغانستـــان والبلاد العربية وهى فى طريقها لاداء فريضة الحج .. وقد سهرت وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية علـــى راحة الحجاج وخدمتهم أثنـــاء اقامتهم بمدينة الحجاج التى تشرف عليهـــا الوزارة .

القاهرة : اشترك فضيلة شيخ الأزهر الدكتور عبد الحليم محمـــود مـــع العاملين فى بناء مسجد النور الـــذى يقام بميدان العباسية .

● وجه نائب رئيس الوزراء وزيـــر الأوقاف رسالة الى موظفات الوزارة يدعوهن فيها الى اختيار زى يتناسب مع قيمنا وتعاليمنا الاسلامية .

● صـــدر قرار جمهـــورى بانشـــاء صندوق لعمارة المساجد الأهلية .. ويقوم الصندوق بحصر هذه المساجد فى كـــل محافظة وتهيئتهـــا لاداء رسالتها .

● أرسى الدكتور عبد العزيز كامـــل وزير الأوقاف حجر الأساس لمسجـــد جديد فى مصر الجديدة يحمل اسم أحد شهداء حرب رمضان ، وكان الشهيد قد أوصى والده بأن يساهم فى اقامة مسجد بقيمة التعويض الذى ستتسلمه الأسرة بعد استشهاده .

● تقرر ضم ١٩٥ مسجدا أهليـــا موزعة على بعض المحافظـــات الـــى وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية .

السعودية : قام جلالة الملك فيصـــل بغسل الكعبة الشريفة .. وكان فى معيته بعض الأمراء ووجهاء البلاد .

● بلغ عدد الحجاج حوالى مليـــون ونصف مليون حاج هذا العام . وقـــد وفرت لهم المملكة كل سبل الراحـــة والسلامة .

● لأول مرة تستخدم اللغات الأجنبية الى جانب اللغة العربية فى القـــاء المواعظ والدروس الدينية فى المسجد الحرام عقب كل صلاة ، فقد خصص باب الملـــك للغات الانجليزيـــة والفرنسية والأفغانية والأوردية .

دمشق : أرســـى الرئيس الســـورى حافظ الأسد والسيد ياسر عرفـات حجر الأساس للمدينة التعليمية لأبناء شهداء فلسطين ، ومهمة هذه المدينة رعاية أبناء أسر المجاهدين وشهـــداء فلسطين وتأهيلهم علميا وقوميا حتى يمكنهم أداء واجبهم الوطنى ..

وقد ساهمت فى هـــذا المشروع الكويت ، ودولة الامارات ، والبحرين وقطر ، والعـــراق بالاضافـــة الى سورية .

الأردن : رحبت الأردن بالمشروع الذى أعدته وزارة الأوقـــاف والشـــئون الاسلامية بالكويت والخاص بتوحيـد الاعياد والمناسبات الاسلامية .. جاء ذلك على لسان ســـماحة الدكتـــور عبد العزيز خياط وزيـــر الأوقـــاف وشئون المقدسات الاسلامية .

فلسطين : ردت المقاومة الفلسطينية بعنف على الاعتداءات الاسرائيليـــة المتكررة على مخيمات اللاجئين فـــى لبنان .. وكبدت العدو الخســـائـــر الفادحة .




السيدة زينب
رضي الله عنها

إعداد الأستاذ فهمى الإمام

اسمها : زينب كبرى بنات النبى صلى الله عليه وسلم .

امها : ام المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد رضى الله عنها .

زوجها : أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى .

زواجها : تقدم لخطبتها من أبيها محمد صلى الله عليه وسلم فوافق عليه زوجا لابنته بعد ان علم بقبولها له ، وتم زواجها فى مكة قبل البعثة النبوية .. وانتقلت من بيت أبيها الى بيت الزوجية ..

اسلامها : كانت تتردد على بيت والدها صلى الله عليه وسلم .. وعلمت باختلائه وعزلته فى غار حراء .. ثم علمت بالوحى الذى يهبط عليه .. فشهدت بأنه لا إله الا الله وان محمدا رسول الله ، وحاولت جاهدة ان يعتنق زوجها الاسلام .. ولكنه ظل على كفره حتى هاجر الرسول الى المدينة .. وبقيت زينب وحيدة فى مكة .. ووالدها وأخواتها والمسلمون فى المدينة .. ثم كانت معركة بدر .. وزوجها فى صفوف المشركين .. ووقع زوجها أسيرا فى ايدى المسلمين .

فداؤها لزوجها : تقدم (عمرو بن الربيع) فقال للنبى : بعثتنى (زينب بنت محمد) بهذا — وأخرج صرة بها (قلادة) كانت قد أهدتها السيدة خديجة لزينب عند زواجها — فداء لزوجها ابى العاص — اخى — فلما راى الرسول القلادة قال لأصحابه : إن رايتم ان تطلقوا لها اسيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا .. فقالوا جميعا : نعم يا رسول الله .

هجرتها : عاد الزوج الى مكة بعد ان أطلق سراحه من الأسر .. واشار على زينب باللحاق بوالدها صلى الله عليه وسلم .. لأنها لم تعد تحل له زوجا .. فقد فرق اختلاف الدين بينهما .. وكان قد وعد والدها بأن يسمح لها بالهجرة ، فخرجت مهاجرة يحرسها (كنانة) — اخو ابى



العاص ــ ولكنها لم تسلم من اذى قريش .. فضربوا بعيرها فسقطت من فوقه على صخرة .. فطرحت جنينها وقد كانت حاملا .. ثم عادت الى مكة حتى استراحت قليلا .. ثم خرجت مهاجرة الى المدينة

ولادتها : ولدت فى مكة لأبى العاص ابنتها (امامة) .. فنشأت فى مكة .. وصحبت امها مهاجرة .. وعاشت معها حتى انتقلت الى جوار ربها ، وظلت مع والدها حتى مات فى ذى الحجة من السنة الثانية عشرة من الهجرة فى عهد ابى بكر .. وقبل موته اوصى بامامة الى الزبير ابن خاله ابن خويلد .. وقد زوجها الزبير من على بن ابى طالب بعد وفاة خالتها فاطمة الزهراء . ومن بعده تزوجت المغيرة بن نوفل واقامت معه حتى ماتت عن غير خلف ــ فى أصح الروايات ــ وبذلك انقطع عقب زينب . رضى الله عنها .

اسلام زوجها : كان ابو العاص فى تجارة لقريش .. اصابها المسلمون فأخذوها .. وفر منهم حتى لجأ الى بيت السيدة زينب رضى الله عنها .. فأجارته فلم يمسسه أحد بسوء .. وعرض الرسول على اصحابه أن يردوا عليه امواله اذا رأوا ذلك .. والا فهى فىء لهم فردوا عليه امواله كاملة لم ينقص منها شىء .. ثم رحل ابو العاص بتجارته حتى اتى مكة .. فأدى الأمانة .. ووزع الأموال على اصحابها .. ولما فرغ .. وقف بين أهل مكة قائلا : (فأنا اشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، والله ما منعنى من الاسلام الا تخوف أن تظنوا انى انما اردت أن آكل اموالكم ، فلما اداها الله اليكم وفرغت منها اسلمت) .

هجرة زوجها : ومع هلال المحرم سنة سبع من الهجرة قدم الى المدينة مسلما .. ودخل على الرسول فى مسجده معلنا إسلامه .. وفرح بذلك المسلمون .. ورد الرسول عليه زوجته واجتمع شمل الأسرة فى المدينة المباركة بعد تفرق .

وفاتها : فى مستهل السنة الثامنة ماتت السيدة زينب متأثرة بما أصابها وهى خارجة من مكة .

ولم يتزوج ابو العاص بعدها حتى مات فى خلافة ابى بكر وقد صلى عليها ابوها صلى الله عليه وسلم فى مسجده .. ودفنها فى ثرى المدينة .. رضى الله عنها وأرضاها .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	محرم ١٣٩٥	يناير ١٩٧٥	نوروز	المواقيت بالزمن الغروبي (عربي)					المواقيت بالزمن الزوالي (افرنجي)					
				فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء
				د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الثلاثاء	١	١٤	١٥٧	١٢ ٨	١ ٣١	٦ ٤٦	٩ ٤١	١ ٢٢	٥ ١٩	٦ ٤٣	١١٥٧	٢ ٥٢	٥ ١١	٦ ٣٣
الأربعاء	٢	١٥	١٥٨	٧	٣٠	٤٥	٤١	٢٢	١٩	٤٣	٥٨	٥٣	١٢	٣٤
الخميس	٣	١٦	١٥٩	٦	٢٩	٤٥	٤١	٢٢	١٩	٤٣	٥٨	٥٤	١٣	٣٥
الجمعة	٤	١٧	١٦٠	٥	٢٨	٤٤	٤١	٢٢	١٩	٤٣	٥٨	٥٥	١٤	٣٦
السبت	٥	١٨	١٦١	٤	٢٧	٤٤	٤١	٢٢	١٩	٤٣	٥٨	٥٦	١٥	٣٧
الأحد	٦	١٩	١٦٢	٣	٢٧	٤٣	٤١	٢١	١٩	٤٣	٥٩	٥٦	١٥	٣٧
الاثنين	٧	٢٠	١٦٣	٢	٢٥	٤٣	٤١	٢١	١٩	٤٣	٥٩	٥٧	١٦	٣٨
الثلاثاء	٨	٢١	١٦٤	١	٢٤	٤٢	٤١	٢١	١٩	٤٢	٥٩	٥٨	١٧	٣٩
الأربعاء	٩	٢٢	١٦٥	٠٠	٢٣	٤٢	٤١	٢١	١٨	٤٢	١٢٠٠	٥٩	١٨	٣٩
الخميس	١٠	٢٣	١٦٦	١١٥٩	[illegible]	٤١	٤١	٢١	١٨	٤١	٠٠	٣ ٠٠	١٩	٤٠
الجمعة	١١	٢٤	١٦٧	٥٨	٢١	٤٠	٤٠	٢١	١٨	٤١	٠٠	٠٠	٢٠	٤١
السبت	١٢	٢٥	١٦٨	٥٦	١٩	٤٠	٤٠	٢١	١٧	٤٠	٠٠	١	٢١	٤٢
الأحد	١٣	٢٦	١٦٩	٥٥	١٨	٣٩	٤٠	٢١	١٧	٤٠	١	٢	٢٢	٤٣
الاثنين	١٤	٢٧	١٧٠	٥٤	١٧	٣٩	٤٠	٢٠	١٧	٤٠	١	٢	٢٢	٤٤
الثلاثاء	١٥	٢٨	١٧١	٥٣	١٥	٣٨	٤٠	٢٠	١٦	٣٩	١	٣	٢٣	٤٤
الأربعاء	١٦	٢٩	١٧٢	٥٢	١٤	٣٧	٤٠	٢٠	١٦	٣٩	١	٤	٢٤	٤٥
الخميس	١٧	٣٠	١٧٣	٥٠	١٢	٣٦	٤٠	٢٠	١٥	٣٨	١	٤	٢٥	٤٥
الجمعة	١٨	٣١	١٧٤	٤٩	١١	٣٦	٣٩	٢٠	١٥	٣٨	١	٥	٢٦	٤٦
السبت	١٩	فبراير	١٧٥	٤٨	١٠	٣٥	٣٩	٢٠	١٥	٣٧	٢	٥	٢٦	٤٦
الأحد	٢٠	٢	١٧٦	٤٧	٨	٣٤	٣٩	٢٠	١٤	٣٦	٢	٦	٢٧	٤٧
الاثنين	٢١	٣	١٧٧	٤٦	٧	٣٤	٣٩	٢٠	١٤	٣٦	٢	٦	٢٨	٤٨
الثلاثاء	٢٢	٤	١٧٨	٤٥	٥	٣٣	٣٩	١٩	١٣	٣٥	٢	٧	٢٨	٤٨
الأربعاء	٢٣	٥	١٧٩	٤٤	٤	٣٢	٣٨	١٩	١٣	٣٥	٢	٧	٢٩	٤٩
الخميس	٢٤	٦	١٨٠	٤٢	٣	٣٢	٣٨	١٩	١٢	٣٤	٢	٨	٣٠	٤٩
الجمعة	٢٥	٧	١٨١	٤١	٢	٣١	٣٨	١٩	١٢	٣٤	٢	٩	٣١	٥٠
السبت	٢٦	٨	١٨٢	٤٠	١	٣١	٣٨	١٩	١١	٣٣	٢	٩	٣١	٥٠
الأحد	٢٧	٩	١٨٣	٣٩	١٢٥٩	٣٠	٣٨	١٩	١١	٣٣	٢	١٠	٣٢	٥١
الاثنين	٢٨	١٠	١٨٤	٣٧	٥٨	٢٩	٣٧	١٩	١٠	٣٢	٢	١٠	٣٣	٥٢
الثلاثاء	٢٩	١١	١٨٥	٣٥	٥٧	٢٩	٣٧	١٨	٩	٣١	٢	١١	٣٤	٥٢

« إلى

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بصدد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار ٧ شارع الصحافة .

السودان : الخرطوم : دار التوزيع — ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى — ص.ب : (١٣٢) .
بنغازى : مكتبة الخراز — ص.ب : (٢٨٠) .

المغرب : الدار البيضاء — السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

تونس : مؤسسات ع بن عبد العزيز — ١٧ شارع فرنسا .

لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

الأردن : عمان : وكالة التوزيع الأردنية : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جدة : مكتبة مكة — ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكة — ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية — ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة — ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العراق : بغداد : وزارة الاعلام — مكتب التوزيع والنشر .

البحرين : المكتبة الوطنية : شارع باب البحرين .

قطر : الدوحة : مؤسسة العروبة — ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبى : مكتبة دار الحكمة ص.ب : (٢٠٠٧) .

الكويت : مكتبة الكويت المتحدة .

ونوجه النظر إلى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

الثمن

● الكويت ٥٠ فلسا ● السعودية ١ ريال ● العراق ٧٥ فلسا ● الاردن ٥٠ فلسا
● ليبيا ١٠ قروش ● تونس ١٢٥ مليما ● الجزائر دينار وربع
● المغرب درهم وربع ● الخليج العربى ٧٥ فلسا ● اليمن وعدن ٧٥ فلسا
● لبنان وسوريا ٥٠ قرشا ● مصر والسودان ٤٠ مليما


فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ
وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ